السجين والسجان

أربع مسرحيات من فصل واحد

محمد عناني

السجين والسجان

أربع مسرحيات من فصل واحد

تأليف
محمد عناني

هنـــداوي

السجين والسجان

محمد عناني

الناشر مؤسسة هنداوي
المشهرة برقم ١٠٥٨٥٩٧٠ بتاريخ ٢٦ / ١ / ٢٠١٧

يورك هاوس، شييت ستريت، ونسدور، SL4 1DD، المملكة المتحدة
تليفون: ٨٣٢٥٢٢ ١٧٥٣ (٠) ٤٤ +
البريد الإلكتروني: hindawi@hindawi.org
الموقع الإلكتروني: https://www.hindawi.org

إنَّ مؤسسة هنداوي غير مسئولة عن آراء المؤلف وأفكاره، وإنما يعبِّر الكتاب عن آراء مؤلفه.

تصميم الغلاف: ولاء الشاهد

الترقيم الدولي: ٦ ٣٦٠٥ ٥٢٧٣ ١ ٩٧٨

صدر هذا الكتاب عام ١٩٨٠.
صدرت هذه النسخة عن مؤسسة هنداوي عام ٢٠٢٤.

جميع حقوق النشر الخاصة بتصميم هذا الكتاب وتصميم الغلاف محفوظة لمؤسسة هنداوي.
جميع حقوق النشر الخاصة بنص العمل الأصلي محفوظة للسيد الدكتور محمد عناني.

المحتويات

تقديم	٧
إهداء الطبعة الأولى (١٩٨٠)	٩
السجين والسجان	١١
الصديقان	٣١
البحيرة	٥٣
الصديقتان	٧٣

تقديم

على نحوِ ما أذكر في كتابي «فن الترجمة» — وما فَتِئتُ أُردِّد ذلك في كُتُبي التالية عن الترجمة — يُعَد المُترجِم مُؤلِّفًا من الناحية اللغوية، ومن ثَم من الناحية الفكرية؛ فالترجمة في جوهرها إعادةُ صَوغٍ لفكرِ مُؤلِّفٍ مُعيَّن بألفاظِ لغةٍ أخرى، وهو ما يَعْني أن المترجم يَستوعب هذا الفِكرَ حتى يُصبح جزءًا من جهاز تفكيره، وذلك في صورٍ تتفاوت من مُترجِمٍ إلى آخَر، فإذا أعاد صياغة هذا الفِكر بلُغةٍ أخرى، وجَدْنا أنه يَتوسَّل بما سمَّيتُه «جهاز تفكيره»، فيصبح مرتبطًا بهذا الجهاز. وليس الجهاز لغويًّا فقط، بل هو فكريٌّ ولغوي، فما اللغة إلا التجسيد للفِكر، وهو تجسيدٌ محكوم بمفهوم المُترجِم للنص المَصدَر، ومن الطبيعي أن يتفاوت المفهوم وفقًا لخبرة المُترجِم فكريًّا ولغويًّا. وهكذا، فحين يبدأ المُترجِم كتابةَ نصِّه المُترجَم، فإنه يُصبح ثمرةً لِما كتبَه المؤلِّف الأصلي إلى جانبِ مفهوم المُترجِم الذي يَكتسي لغتَه الخاصة، ومن ثَم يَتلوَّن — إلى حدٍّ ما — بفكره الخاص، بحيث يصبح النص الجديد مزيجًا من النصِّ المَصدَر والكِساء الفكري واللغوي للمُترجِم، بمعنى أن النص المُترجَم يُفصِح عن عملِ كاتبَين؛ الكاتب الأول (أي صاحب النص المَصدَر)، والكاتب الثاني (أي المُترجِم).

وإذا كان المُترجِم يكتسب أبعادَ المُؤلِّف بوضوحٍ في ترجمة النصوص الأدبية، فهو يكتسب بعضَ تلك الأبعاد حين يُترجم النصوصَ العلمية، مهما اجتهد في ابتعاده عن فِكره الخاص ولغته الخاصة. وتتفاوت تلك الأبعاد بتفاوُت حظ المُترجِم من لغة العصر وفِكره، فلكلِّ عصرٍ لغتُه الشائعة، ولكل مجالٍ علميٍّ لغتُه الخاصة؛ ولذلك تتفاوت أيضًا أساليبُ المُترجِم ما بين عصرٍ وعصر، مثلما تتفاوت بين ترجمة النصوص الأدبية والعلمية.

وليس أدل على ذلك من مقارنة أسلوب الكاتب حين يُؤلِّف نصًّا أصليًّا، بأسلوبه حين يُترجِم نصًّا لمُؤلِّف أجنبي، فالأسلوبان يتلاقيان على الورق مثلما يتلاقيان في الفكر.

فلكلِّ مُؤلِّف، سواءٌ كان مُترجِمًا أو أديبًا، طرائقُ أسلوبيةٌ يعرفها القارئ حَدْسًا، ويعرفها الدارس بالفحص والتمحيص؛ ولذلك تَقترن بعض النصوص الأدبية بأسماء مُترجِميها مثلما تقترن بأسماء الأدباء الذين كتبوها، ولقد تَوسَّعتُ في عرض هذا القول في كتبي عن الترجمة والمُقدِّمات التي كتبتها لترجماتي الأدبية. وهكذا، فقد يجد الكاتب أنه يقول قولًا مُستمَدًّا من ترجمةٍ مُعيَّنة، وهو يَتصوَّر أنه قولٌ أصيل ابتدعه كاتبُ النص المَصدَر. فإذا شاع هذا القول في النصوص المكتوبة أصبح ينتمي إلى اللغة الهدف (أيْ لغة الترجمة) مثلما ينتمي إلى لغة الكاتب التي يُبدِعها ويراها قائمةً في جهاز تفكيره. وكثيرًا ما تَتسرَّب بعض هذه الأقوال إلى اللغة الدارجة فتحلُّ محلَّ تعابيرَ فصحى قديمة، مثل تعبير «على جثتي» (over my dead body) الذي دخل إلى العامية المصرية، بحيث حلَّ حلولًا كاملًا محلَّ التعبير الكلاسيكي «الموت دونه» (الوارد في شِعر أبي فراس الحمداني)؛ وذلك لأن السامع يجد فيه معنًى مختلفًا لا ينقله التعبير الكلاسيكي الأصلي، وقد يُعدِّل هذا التعبير بقوله «ولو متُّ دونه»، لكنه يجد أن العبارة الأجنبية أفصح وأصلح! وقد ينقل المُترجِم تعبيرًا أجنبيًّا ويُشِيعه، وبعد زمنٍ يتغير معناه، مثل «لَمن تدقُّ الأجراس» for whom the bell tolls؛ فالأصل معناه أن الهلاك قريبٌ من سامعه (It tolls for thee)، حسبما ورد في شِعر الشاعر «جون دَنْ»، ولكننا نجد التعبيرَ الآن في الصحف بمعنى «آنَ أوانُ الجد» (المستعار من خُطبة الحجَّاج حين وَلِي العراق):

آنَ أوانُ الجدِّ فَاشْتَدِّي زِيَمْ قد لَفَّها الليلُ بسوَّاق حُطَمْ
ليسَ براعي إِبلٍ ولا غَنَمْ ولا بجزَّارٍ على ظهر وَضَمْ

فانظر كيف أدَّت ترجمةُ الصورة الشعرية إلى تعبيرٍ عربي يختلف معناه، ويَحلُّ محلَّ التعبير القديم (زِيَمْ اسم الفرس، وحُطَمْ أي شديد البأس، ووَضَمْ هي «القُرْمة» الخشبية التي يَقطع الجزَّار عليها اللَّحم)، وأعتقد أن مَن يُقارِن ترجماتي بما كتبتُه من شِعر أو مسرح أو رواية سوف يكتشف أن العلاقة بين الترجمة والتأليف أوضَح من أن تحتاج إلى الإسهاب.

محمد عناني
القاهرة، ٢٠٢١م

إهداء الطبعة الأولى (١٩٨٠)

إلى جيلنا من شباب منتصف العمر
الذي يعمل جاهدًا حتَّى يعود للفن شبابُه
ويتوهَّج في الشباب فنُّه.

السجين والسجان

المنظر: غرفة واسعة تُشبه الصالون في منزل أحد أبناء الطبقة المتوسِّطة في القاهرة. يوجد بها شبَّاك صغير في أقصى اليسار، أما الخلف فهو عبارة عن حائط أبيض شفَّاف يمكن إذا أظلم المسرح أن يُفصح عن مشهد للقاهرة كلها؛ البيوت والعمارات العالية وبعض المآذن وأبراج الكنائس، إلى أقصى اليمين باب ضخم على هيئة عقد من عقود القرون الوسطى، الأثاث قليل: كرسي وأريكة ومكتب وسرير، يمكن إضافة قِطَع أخرى.
الزمن: الحاضر.
الأشخاص:

السجين: كمال عبد المؤمن ٤٠ سنة.

السجان: كمال عبد المهيمن ٤٠ سنة.

عندما تُفتح الستار يكون المسرح خاليًا ثم تُسمع قرقعة سلاسل ومفاتيح وضجيج شديد، يُفتح الباب ويدخل السجان حاملًا طبقًا مغطًّى في يده. رجل نحيل ذو شارب كث، يسير في خطوات منتظمة ويضحك أو يحزن بعصبية، وفجأةً يرتدي بزة ضابط، ولكنه يخلع الجاكتة ويُمسكها في يده فلا نستطيع أن نرى رتبته. بعد قليل يخلع القبَّعة العسكرية ويضعها على المكتب أيضًا.

يدور السجان بعينَيه في المكان متفحِّصًا، يبدو عليه القلق، يتجوَّل على المسرح، ثم يبدو عليه الاستسلام، يتَّسم حديثه مثل التعبير على وجهه بالتناقض بين الفرح الصارخ والاستسلام الكامل.

السجان: انت فين يا كمال؟ رجعنا تاني للألاعيب بتاعتك؟ ع العموم انت حُر! تستخبى ماتستخبَّاش دا شأنك! ما دام انت في الزنزانة بتاعتك خلاص ... بعد كده بقى عندك حريتك الشخصية ... تقدر تعمل اللي انت عايزه ... (يتجول على المسرح محاولًا اكتشاف مخبأ كمال) حتكون فين يعني؟ تحت السرير؟ ورا الدولاب؟ جوه الدولاب؟ تحت المكتب؟ جوه المكتب؟ (يضحك بعصبية) موش مهم، المهم انك موجود ... دا اللي انا عارفه ودا اللي انا واثق منه ... موش ضروري الواحد يشوفك عشان يعرف انك موجود.(يتحسَّس المفتاح في جيبه) أنا اللي شايل المفتاح واقدر أخُش لك وقت ما انا عايز واخرج من عندك وقت مانا عايز ... بس موش هوه ده مصدر حريتي ... حريتي مصدرها اليقين! اليقين يعني التأكد ... يعني أنا متأكد إنك هنا ... ما فيش عندي أي شك ... خلاص! (يضرب كفًّا بكف) شوف سخرية القدر! وانا جاي النهارده ونِفسي مفتوحة لك وعايز أقعد معاك قعدة طويلة بعد ما ودعت الشك للأبد! وبعدين نِفسي أسألك سؤال! انت بتستخبى مني ليه؟ دانا صاحبك وحبيبك اللي اتعلم منك حاجات كتير ... وقبل ما تيجي هنا كنا جيران وطلعنا بلديات كمان ... ولو انك ما كنتش تعرف إن انا كنت جارك (يضحك) يلَّا يا كمال يا صاحبي، اظهر وبان عليك الأمان ... خايف من إيه؟ ولَّا يمكن عايز تهرب؟ وتهرب ليه وتهرب من إيه؟ الكلام ده، كان يبقى مفهوم لو كنت خايف يقبضوا عليك ... لكن خلاص ... انتهينا ... أديك اتقفشت واعترفت واتدبست ... واديك هنا هه معاي وقُدَّامي ... يلَّا بقى ما تدوخنيش ... دانا جايب لك أكل ظريف النهارده وانا عارف انك جعان ... وانت بقى لك كام يوم ماكلتش (في فزع) يا نهار مهبب ... ما داهية تكون مُت!

لا لا لا ... موش ممكن! (يتفحص المكان ثانيًا) انت هنا ومية في المية هنا ... اطلع بقى أحسن لك ... اطلع بقى بقولك أحسن والله والله ... (يرتبك) اسمع امَّا أقولك ... (يصرخ) أنا حاخرب بيتك ... حابلَّغ إنك هربت ... (بسرعة شديدة) حيضاعفوا لك المدة ... حارجع بالأكل ... حادبحك ... حاسلخك ... حاقطَّعك للكلاب ... حارميك للقطط. (يأخذ منه جهد الصراخ مأخذًا ويحسُّ بالإرهاق الشديد والدوار ويكاد يسقط إعياءً) كده؟ تعمل فيَّ كده؟ أنا؟ بعد كل اللي عملته عشانك؟ انت صحيح علمتني كتير ... لكن انا برضه خَدَمْتَك من ساعة ما عرفت انت مين وجيت هنا ليه ... تعرف إن احنا دفعة ثانوية عامة واحدة؟! شوف القَدَر ... أنا اروح البوليس وانت تخش الآداب! هو ده اللي فسد مخَّك ... وعشان كده كان لازم أنضَّف لك الزنزانة م الكتب والكلام الفارغ اللي كان فيها ... والحمد لله، نجحت! شلت الراديو اللي كان عامل دوشة ملهاش آخِر ... والجرايد

اللي كانت بتنرفزك ... يعني فعلًا خلقتلك الجو المثالي للراحة والهدوء ... وبصراحة أنا بحب زنزانتك دي أكتر من أي حتة في السجن ... الواحد يقدر يقعد يتكلم ويتبحبح (يضحك) بس امَّا تطلع حاتكلم مع مين؟! (يدور في قلق على المسرح) اطلع بقى الله يهديك ... حتفضل لإمتى هربان؟! وحنهرب ليه وإزاي وفين؟! ما انت عارف اللي فيها ... الزنزانة مقفولة، والعنبر مقفول، والحوش مقفول، وباب السجن مقفول، وحوش السجن مقفول ... وبرَّه حوش السجن برضه مقفول! (يضحك ثم يتحوَّل الضحك إلى صرخات مكتومة) موش ممكن تكون هربت صحيح؟! يا نهار اسود، انت فين يا كمال؟! كمال! (يصيح بأعلى صوته) كمال! كمال! (يُجن جنونه ويتحرك في كل مكان كأنما لسعه عقرب) اطلع بقول لك ... اطلع وإلَّا أطين لك عيشتك وعيشة اللي خلفوك كمان ... اطلع يا ابن الكلب (يضرب جميع الأماكن بقدمه ويدَيه) انت هربت؟ يبقى انا ضعت ... يا خلق هُوه (يصيح في جنون) إلحقوني ... مجرم خطير هرب ... إلحقوني! (يتجه إلى الباب في تهالُك، وفجأةً ينقضُّ السجين عليه من الخلف ويحدث صراع قصير يتغلب فيه السجين ويُكمِّم فمَ السجان ويُجلسه على الكرسي ويوثق يدَيه خلف ظهره.)

السجين: يا ساتر! انت ما بتزهقش م الكلام؟! إيه اللي حصلك النهارده؟! كنت دايمًا هادي وساكت وانا ... أنا اللي كنت باتكلم! جاي تديني محاضرة سيادتك عن الحرية والسجن؟ ناقصك انا؟ أنا بصراحة زهقت منك! وقررت اتخلَّص منك! والنهارده قبل بكرة ... ودلوقت! بقى عشان ما كنا جيران ومراتك زي ما بتقول كانت تعرفني جاي تلزق لي؟! ما فيش مساجين تانية عجبوك؟ والله عال عال! (فجأة) ولَّا يمكن عشان اسمك على اسمي؟! لا يا ملك ... لا! أنا حادبحك ... وحالًا ... أهه ... آدي السكينة (يخرج سكينًا يلمع نصلُها في الهواء) شايف بتلمع ازاي؟ حامية زي الموس ... كل اللي حاعمله إني حاكتب ورقة (ينقضُّ عليه بالسكين ويقترب النصل حتى عينَي السجان) ما انتش خايف يعني؟ لو واحد غيرك كات طلعت روحه ... كات جات له سكتة ... كان طَب ... ولا كلمة ... (يبتعد عنه) آه ... فهمت ... واثق اني موش حادبحك أحسن أروح في حديد! (يضحك) طب مانا في حديد أهه؟ لا لا لا ... انت عارف إني ما قدرش أودِّي نفسي في داهية ... كوني قتلت مراتي مش معناه انِّي قتَّال قُتلا ... دي نقرة ودي نقرة ... مراتي كانت بتاعتي ... يعني مِلكي ... أقتلها ما اقتلهاش أنا حُر ... لكن انت بقى حاجة تانية ... (يتجوَّل مُفكِّرًا) ومع ذلك لازم أتخلص منك ... لازم تموت ... إزاي؟ إزاي يا كمال ازاي؟ ما هو سَكْتة موش حتجيلك سَكْتة ... لكن ممكن تنتحر! أمَّا فكرة عبقرية ... تنتحر بصنعة لطافة ...

إزاي؟ تقطع عروق إيديك طبعًا واهي مربوطة ورا ضهرك وكله تمام ... (يتململ السجان في كرسيه ويحاول الكلام بكل الطرق فلا يستطيع، فيهز نفسه ويحاول أن يقلب الكرسي) تعبت انت من حكاية الانتحار دي؟ ليه؟ دي حاجة طبيعية جدًّا ... الإنسان لَمَّا تضيق بيه الحياة زي ما ضاقت بيك ما يقدرش يستمر ... يعلن الإضراب. يقول موش لاعب ... يصرخ في وش الدنيا والناس ... كام سنة في السجن يا ناس ما عدتش أستحمل ... موش لاعب! صح؟! (يتنبه إلى إن السجان لا يستطيع الرد) موافق معاي طبعًا؟ حقول لهم هددني إنه ينتحر ويلزق التهمة فيَّ عشان يعدموني ... حاصرخ واعيط واهد الدنيا عليهم ... كدهه! (يمثِّل الصراخ والعويل ويخبط المقاعد بقدمه ويجري من مكان إلى مكان) كمال انتحر! إلحقوني ... يا خلق هوه ... كمال انتحر! (أثناء ذلك ينجح السجان في فك يدَيه ويُزيل الكمامة من على فمه وينهض فيتنبَّه السجين ويتخذ منه موقف المتنمر.)

السجان: أنا حاوديك في داهية!

السجين: فكيت نفسك؟

السجان: حاخرب بيتك!

السجين: اتحررت؟

السجان: حيقطعوك حتت.

السجين: السكينة لسه معاي!

السجان: حيطلقوا عليك الكلاب.

السجين: خُش عليَّ لو راجل.

السجان: لا يمكن حتفلت المرة دي.

السجين: خوش أمال ... خُش ... (يزوم مثل النمر) خوش عليَّ.

السجان: حاكتب تقرير.

(يتحاوران على المسرح كأنهما يتصارعان أو يستعدان لجولة مصارعة.)

السجين: خُش بقولك.

السجان: حاتندم يا كمال.

السجين: خُش عليَّ ... خليك راجل!

السجان (يقف فجأةً ويقرِّر عدم الصراع): موش مهم.

السجين: خسارة!

السجان: يا بخت من قدر وعفي.

السجين (ساخرًا)**:** الطيب أحسن!

السجان: أنا كنت جاي في حاجة مهمة ... لكن بقى ما دام انت آخد المسألة كده ... لازم أروح أكتب التقرير!

السجين: عايزهم يعملوا فيَّ إيه أكتر من كده؟

السجان: موش مسألة يعملوا ... التقرير مالوش دعوة ... دا واجب ما فيش مفر منه.

السجين (ملاطفًا)**:** حتقول إن سلوكي كويس؟

السجان: سلوكك؟!

السجين: يعني!

السجان: عايزني أقول إنك هادي الطبع؟ ليِّن الجانب؟

السجين: يمكن يحاكموني! ما تنساش يا كمال يا صاحبي إن انا محبوس رهن التحقيق!

السجان: لا لا لا ... دا موش شُغلي ... أنا ممكن أقول إن قوتك العضلية ممكن الاستفادة بها في تقطيع الأحجار ... (كأنما يقرأ من ورقة) ومن ثَم نوصي بنقله إلى الجبل ليُساهم في الأعمال الإنشائية، أو على الأقل في إعداد الصخور التي نحتاج إليها في البناء وإصلاح الطُّرق.

السجين (ساخرًا)**:** حلو قوي ... جميل ... رائع!

السجان: تقرير ظريف؟

السجين: إنت أظرف!

السجان: أصل ما فيش حتة تانية نقدر ننقلك لها!

السجين: وعايز تنقلني ليه بس؟

السجان: ما هو واضح انك زهقت مني.

السجين: حد يزهق منك يا راجل؟!

السجان (في عتاب رقيق)**:** أنا لاحظت في الفترة الأخيرة إنك موش مستريَّحلي وزي ما تقول كده ... (يتردد) آخِد مني موقف!

السجين (مرعوبًا من عواقب هذا الكلام)**:** أنا ... آخد منك انت ... موقف؟ (ملاطفًا) بقى دي معقولة دي؟

السجان (لهجة العتاب مستمرة): وموش بس آخد مني موقف ... دانا زي ما كون عدوك!

السجين (منتهى اللين): ليه بس كده يا كمال يا صاحبي؟ ليه تقول الكلام الوحش ده؟

السجان (في عتاب كأنما هو طفل يعاقب أمه): كل ما اجيلك تهاجمني ... وتخوِّفني! ده ذنبي اني نقلتك هنا وبعدتك عن دوشة المساجين؟ ده ذنبي اني مريحك وباسطك آخِر انبساط؟ لو تعرف أد ايه باعزك يا كمال ... دانا شايلك على كفوف الراحة ... (في انفعال) من ساعة ما عرفت انك كنت ساكن جنبنا في بحري وانا باوِدَّك وباجِن عليك ... انت فاكر يعني انك لو رُحت طُرة حانبسط؟

السجين: حتلاقي مين تضربه ولا يشتكيش زيي؟

السجان: أضربه؟ أنا باضربك يا كمال؟

السجين: لا العفو ... أنا اللي باضرب نفسي!

السجان: يا كمال ده موش ضرب ... ده شغل!

السجين: رياضة؟

السجان: دي مهام وظيفتي ... طبيعة عملي!

السجين: آه ... قول كده ... دلوقت فهمت!

السجان: والله انت لا فهمت ولا حاجة ... أنا يا كمال قلبي بيوجعني لمَّا باشوفك بتتألم ... وبتصعب عليَّ ... وحتى باتألم والله!

السجين: لكن لازم تقوم بالواجب طبعًا!

السجان (فجأة): اسمع ... انت موش لاحظت اني من مدة ما ضربتكش؟

السجين: وإيدك بتاكلك!

السجان: بتاكلني ايه إخص عليك! أنا حالغي الضرب خالص ... وحاسحب اقتراح طُرة.

السجين: هو انت كنت قدمته؟

السجان: الحقيقة ... في لحظة غضب!

السجين: طب والعمل؟

السجان: حاسحبه ... وحاجيب لك كل حاجة عايزها ... (في ودٍّ شديد) أنا مستعد حتى اديك مفتاح (يغمز له) يعني! حاجة كده تقدر تزوَّغ بيها إنْ كنت عايز!

السجين (غير مصدِّق)**:** انت ... انت ... عارف انت بتقول إيه يا كمال؟

السجان (في حماس)**:** عارف، ومسئول عن كل كلمة ... (يقترب منه هامسًا) بس عندي طلب صغير.

السجين: خير!

السجان: تعترف لي قتلت مراتك ليه!

السجين (يضحك ضحكًا شديدًا)**:** حلوة دي ... حلوة خالص!

(ضحك هستيري) أحلى حاجة قلتها في حياتك!

السجان (مأخوذًا بردِّ الفعل العنيف وغير المتوقَّع)**:** أنا متأسف إنْ كنت زعلتك!

السجين (الضحك مستمر)**:** بالعكس ... دانت بسطتني خالص، فرفشتني ... نعنشتني ... هوستني!

السجان: حقك عليَّ ... أنا (مترددًا) كان عندي أمل ... أصلك مرة ...

السجين (يهدأ ضحكه)**:** مرة إيه؟ اعترفت؟

السجان: لا ... كنت كلمتني عن سلومة!

السجين: مراتي؟!

السجان: وقلت إنها كانت صاحبة حُسنية الروح بالروح.

السجين: تمام ... حسنية عبد العال ... كانت جارتنا لزم ... وقبل كده ... آه ... كانوا بيشتغلوا مع بعض في المدرسة القومية في ميت جناج مع بعض كام سنة ... دول كانوا ما يسيبوش بعض أبدًا لحد ما جينا مصر بقى ... كانوا ... (يتردد) على إيه؟ ما خلاص بقى!

السجان (باهتمام شديد واستغراق رهيب)**:** أيوه ... كانوا إيه؟ كانوا إيه؟ كنت بتقول ...

السجين: وانت يهمك ده في إيه؟

السجان (يبلع ريقه وقد استغرق تمامًا فيما يقوله السجين)**:** قول يا كمال ... أنا مستعد أخليك تخرج النهارده ... أوعدك ... أوعدك انك تخرج النهارده!

السجين: وبعدين معاك بقى؟

السجان: أوعدك ... أوعدك ... أبوس إيدك! عايز أعرف. (ينحني على ركبتَيه) أبوس رجلك ... كانوا إيه؟!

السجين: انت حتطيَّر لي مخي يا جدع انت؟ قُوم ... عيب ... قُوم بقول لك ... (يُعينه على الوقوف ثم يحملق فيه) انت عايز تعرف إيه؟

السجان: انت كنت بتقول انهم عاشوا مع بعض وأثَّروا على بعض ... يعني كانوا زي بعض وانهم ... هه ... هه ... كنت بتقول ... (يبلع ريقه في لهفة.)

السجين: أنا ما قلتش!

السجان: لا ... مرة قلت لي إن سلومة كانت حاجة صعبة قوي وماحدش يقدر يشكمها.

السجين: وانت تعرف سلومة منين؟

السجان: مش كانت صاحبة حسنية؟

السجين: وحسنية تبقى لك إيه؟ اوعى تقول لي مراتي!

السجان: بلاش أقول؟

السجين: تقول إيه؟

السجان: مراتي!

السجين (يدور في حيرة)**:** ماهو يانا مجنون يانت مجنون ... عايز تقول إن حسنية مراتك انت؟

السجان: عارف إن شكلي موش قوي!

السجين: أنا مالي ومال شكلك ... أنا أقصد الظروف ... الظروف ... الدنيا ... موش ممكن ... احنا عشنا سوا تقريبًا ... كنَّا جيران وأكتر من جيران ... وعمري ما شفتك ... كنت عارف إن حسنية جوزها ... آه ... افتكرت!

السجان: كنتوا بتشتغلوا مع بعض في الثقافة ... بعد ما سبتوا الوزارة!

السجين (ساخرًا)**:** يعني عارف كل حاجة أهه؟!

السجان: أنا عايز أعرف منك ... أنا ما اعرفش حاجة أبدًا!

السجين: عمري ما كنت أتصور إن حسنية متجوزاك انت!

السجان: اللي حصل يا كمال!

السجين: حسنية ... المرأة الكاملة ... الإنسان ... فاهم يعني إيه؟

السجان: طبعًا ... موش مراتي؟!

السجين: ولا انت فاهم ولا عمرك حتفهم! (يضرب كفًّا بكف) بقى حسنية تبقى مراتك انت؟!

السجان: كتير عليَّ أتجوز واحدة عينيها زرقا وشعرها أصفر؟!

السجين: شعرها أحمر!

السجان: أحمر ولا أصفر ... حسنية كات شكل بس ... زي بقية الستات!
السجين: وانت عارف بقى بقية الستات؟!
السجان: حاجة صعبة قوي؟
السجين: ولا صعبة ولا سهلة، أنا حاقفل ع الموضوع ده. فين الأكل؟
(يتجه الى المكتب ويكشف الغطاء عن الطبق ثم يُعيده مكانه.)
إلهي يسد نفسكو!
السجان: حقك عليَّ يا كمال ... ماتزعلش منِّي!
السجين: وانت ذنبك إيه؟ هم اللي عطوك الأكل توصله.
السجان: ما قصدش الأكل!
السجين (ساخرًا)**:** فيه حاجة تانية؟
السجان: لا ما فيش.
السجين: خلاص ... اتفضل!
السجان (في استسلام)**:** سلامو عليكو.
(يعود السجين إلى الطبق فيعبث به ويأخذه إلى أقصى اليسار بينما يُخرج السجان المفاتيح ويتجه إلى الباب فيحاول أن يفتحه فلا يستطيع فيثور.)
انت عملت ايه في الباب ده؟ افتح باقول لك! انت عملت إيه في الباب؟ إيه اللي حصل له؟! افتح ... افتح بقولك!
السجين: أنا؟ أفتح؟
السجان: والله إن ما فتحت! أنا فهمت حِيَلك وألاعيبك ... عايز تحبسني معاك هنا؟! لا ياعم! أنا موش مسجون ... أنا حر ... أقدر أدخل وأخرج زي مانا عايز ... أفتح الباب ولَّا أقفله على كيفي؟ معاي المفاتيح وأقدر أخُش ... افتحي ... (يطرق الباب بشدة) افتحي بقولك ... افتحي أحسن أكسره على دماغك! (يطرق) افتحي ... أنا عارف إنك جوَّه ... تطفي النور تولعي النور أنا عارف إنك جوَّه ... افتحي ... بتعملي إيه عندك؟ افتحي ... افتحي!
السجين (في نبرات واثقة كأنها قَدَرية)**:** قافلة على نفسها من جوه!
السجان (صارخًا)**:** موش ممكن ... أنا اللي معاي المفتاح!
(فجأةً، يقف ويتنبَّه إلى أن الحديث يدور عن امرأة وليس عن رجل. يمسح العرق من جبينه ويستدير إلى السجين.)
انت قلت ايه؟

السجين: أنا ما قلتش حاجة!
السجان: إنت بتتكلم على مين؟
السجين: موش أنا اللي باتكلم!
السجان: إنت قلت!
السجين: إنت اللي قلت.
السجان: أنا قلت؟
السجين: افتحي.
السجان: افتحي؟
السجين: قافلة على نفسها.
السجان: المفتاح معاي أنا بس!
السجين: المفتاح موش مهم.
السجان: أنا اللي أقدر أفتح!
السجين: وتفتح ليه؟ عايز تشوف إيه؟ موش يمكن لو اتفتح الباب تشوف حاجة موش عايز تشوفها؟ إذا كنت حُر صحيح سيب الباب مقفول ... وحتى لو فتحته ... تقدر تشوف اللي قدامك أو ما تشوفوش ... وفي الحالة دي ما يبقاش موجود. ما هو الموجود يبقى موجود عشان بنشوفه!
السجان (ذاهلًا): إنت بتقول إيه؟
السجين: حسنية قاعدة في الضلمة ... لوحدها.
السجان: ليه؟
السجين: وانت ما لك؟ شأنك إيه بالدنيا بتاعتها؟ العالم الكبير الواسع العريض اللي مالوش آخِر ... بتاعها. بتاعها هي بس! (ساخرًا) عايز تخُش؟ موش ممكن! مالكش وجود فيه، حسنية خلقته وهندسته وزيَّنته بكل حاجة جميلة في الوجود.
(فجأةً) كمال، تعالَ هنا!

(صمت، يتبادل الرجلان نظرات ترقُّب.)

(يقترب منه السجان في شبه ذهول، يسحبه من يده ويُجلسه.)

اقعد ... أنا حاسألك سؤال واحد ... موش مهم تجاوبني عليه؛ لأن المهم هو السؤال نفسه!

السجان: سؤال إيه؟

السجين: أبدًا ... أقصد يعني ... هل انت عمرك فكَّرت إيه اللي بيربطك بحسنية؟

السجان: بيربطني إزاي؟

السجين: يعني إيه اللي بيشدك لها وبيخليك عايزها وقلقان عليها وبتفكر فيها؟ (صارخًا) العلاقة يعني يا أخي!

السجان: علاقة إيه؟ مش مراتي؟!

السجين: سلومة مراتي، ولكن ... افهمني يا كمال! اللي كان بيشدني لها، واللي كان بيبعدني عنها في الوقت نفسه هو غموضها، هو اني ما كنتش فاهمها، وما كانش ممكن أفهمها، وللأسف ما عرفتش ده إلَّا بعد فوات الأوان.

السجان: وحسنية كده؟

السجين: انت بتسألني؟

السجان: ما اعرفش!

السجين: ما تعرفش إيه؟ حسنية كانت المَثَل الأعلى بتاع سلومة، كانت تقعد معاها بالساعات والأيام تحكي وتقرأ وتكتب زي ما تكون هربت م العالم ده لعالم تاني خالص ... أنا بكل أسف ما كنتش باقدر أقرَّب من العالم ده ... وفرصتي الوحيدة لمعرفة حسنية كات عن طريق سلومة ... اللي ما كنتش فاهمها أنا نفسي!

السجان: لكن ... أنا عارف إنها تعرفك!

السجين: حسنية زارتني مرة واحدة في المكتب ... سحرتني! قعدتْ تتكلم وقعدت أنا ... أنا الكبير واللي مفروض اني رئيسها ... قعدت ساكت ومسحور وباسمع زي العيل الصغير لَّما يسمع حواديت أمه ولَّا حواديت جدته!

السجان: حكيت لك إيه؟!

السجين (يضحك): لا ما تخافش ... عمرها ما جابت سيرتك كان واضح إن مشكلتها مالهاش دعوة بيك.

السجان: أمال حكيت لك إيه؟

السجين: موش فاكر التفاصيل، لكن الصورة اللي سابتها في خيالي هي صورة حصان برِّي بيجري، فَرَسة بتبرطع في الغيطان، إنسانة موش ممكن تربط نفسها بمكان ولا زمان، قلب حُر يفضل يدور ويتنطط من مكان لمكان!

السجان: من وزارة لوزارة.

السجين: ومن مدرسة لمدرسة.
السجان: ومن راجل لراجل!

(صمت متوتر.)

السجين: انت قلت إيه يا كمال؟
السجان: لا ... (مترددًا) أنا بأقول يعني ... قصدي ...
السجين: حسنية خانتك يا كمال؟
السجان: ما عرفش، لكن انت بتقول ...
السجين (مقاطعًا)**:** أنا عايزك انت اللي تقول!
السجان: كات دايمًا تتنقل وتعيش في بلاد كتير.
السجين: زي ما عاشت مع سلومة في ميت جناج، وزي ما كنتو جيراننا، لكن ... خانتك؟
السجان: كانت دايمًا تقعد في الضلمة!
السجين: جاوبني!
السجان: وتقفل على نفسها.
السجين: جاوب!
السجان: ما اعرفش، ما اعرفش. هو تحقيق ولَّا إيه؟!
السجين: انت اللي بدأته، حسنية يا كمال بعدت عنك وعن الناس لأن الجسور اللي بينها وبينهم اتكسرت، وأول واحد كسر الجسور دي هو انت!
السجان: انت بتتكلم على إيه؟
السجين: الجسور دي باختصار جسور فِهم، اتصال ... تواصُل ... صعبة عليك دي؟
السجان: ماكناش فاهمين بعض؟
السجين: مش مهم الفهم، المهم محاولة الفهم. انت عمرك فكرت إن حسنية دي بتكتب واتنشر لها بالفعل إنتاج كويس؟
السجان: وده دخله إيه؟
السجين: عمرك سألت نفسك حسنية نفسها تبقى إيه أو تعمل إيه؟ يا كمال أنا موش بلومك أبدًا، أنا كمان عمري ما حاولت أفهم سلومة، كل اللي في دماغي هو انِّي أفتح عليها الباب، يعني أفرض نفسي على حياتها حتى من غير ما اعرف إيه هي حياتها.

كنت متصور إن احنا ما دام متجوزين يبقى لازم أكون موجود جواها، جوَّه حياتها الخاصة، جوه أفكارها زي أنا ما موجود جوه مشاعرها وبيتها ... (في ألم) كنت متصور إن التفاهُم معناه انِّي أقتحم عليها دنياها، أحشر نفسي في كل حاجة تعملها وكل حاجة تفكر فيها، لكن ... يا خسارة! كنت فاكر اني لازم أكون الإنسان الوحيد في حياتها! (في دفء) النوع ده من البشر يا كمال لا يمكن حد يمتلكه، لا راجل ولا ست، حياتها لازم يكون فيها غيري وغيري وغيري!

السجان: الخاينة!

السجين (ساخرًا)**:** خاينة! يعني إيه؟ وافرض!

السجان: أفرض إزاي بقى؟

السجين: خلاص ... أنا قلتلك كل حاجة!

السجان: كمال يا حبيبي اعذرني، أنا دماغي بيغلي زي ما يكون فيه نار، أرجوك ... ريَّحني، انت عارف حاجات كتير ومخبي عليَّ، أرجوك أبوس إيدك، قول لي ... صارحني!

السجين: عايزني أقول إيه تاني؟

السجان: الحقيقة!

السجين: وتعمل بيها إيه؟ انت كتبت على نفسك تعيش في سجن من الشك، ولا يمكن حتصدقني مهما قلتلك، مشكلتك انك أخدت على الشغل لحد ما الناس كلهم بقم في نظرك مساجين، ماعدتش تشوف الحرية اللي بتيجي م الاقتناع، من القبول والرفض في الوقت نفسه، لازم تعترف يا كمال انك كنت — ويمكن لسه — بتعامل حسنية زي المساجين ... انت لوحدك معاك المفتاح، وانت لوحدك اللي يقدر يقفل ويفتح ... تعمل إيه حسنية؟ تهرب، بس موش لبره ... لجوه!

السجان: رجعنا للكلام بتاعك اللي ما يجيبش تمنه!

السجين: كلام فارغ؟

السجان: انت من يوم ما ناقشتني في الموضوع ده وانا بافكر فيه، كل يوم أطلع السطوح واتفرَّج ع الناس ... ما لقيتش حد حُر ... صح! بص حواليك ... بص م الشباك ده، بص ع الناس اللي منورين أُوَدْهُم بعد المغرب!

(تتحول الخلفية إلى لوحة شفافة نرى من خلالها بلكونة فيها إضاءة وغرفة مُضاءة إلى جوارها على البُعد في أحد المنازل.)

شايف الراجل اللي قاعد في البلكونة ده؟ تعرفه؟ طبعًا لأ، أنا أعرفه؛ لأنه ... زيه زي غيره، مربوط من رقبته في ساقية الدنيا، الشغل والفلوس والعيال، رأيك إنه حُر؟!

السجين: انت بتتكلم على مين؟

السجان: الراجل اللي قاعد في البلكونة ده ... بيشرب الشاي بمعلقة سكر واحدة وحاطط الجرنان على ركبه، قراه عشر مرات، ما فيش حاجة تانية يقدر يعملها، رأيك إنه حُر؟

السجين: ليه لأ؟

السجان: لأنه ما يقدرش يخرج!

السجين: يقدر!

السجان: ما يقدرش، يروح فين؟ يمشي في الشارع؟ ممكن طبعًا، لكن برضه مش ممكن.

السجين: ليه لأ؟

السجان: لأنه مربوط في ساقية، مراته وعياله وعيشته كلها، شايف مراته؟ أهي! واقفة في المطبخ المنوَّر ده، بتحضَّر العَشا، خلاص، رتبت كل حاجة، كل دقيقة من وقته معروف حيعمل فيها إيه!

السجين: وهي بقى السجان بتاعه؟

السجان: لا طبعًا، لكن ...

السجين: انت شطحت قوي!

السجان: كده؟ شايف السطوح المنوَّر هناك ده؟ فيه إيه؟ فرح! حلوة كلمة فرح دي؟ خلِّي بالك ... موش حفل زفاف ... لأ ... فرح! يعني واحد فرحان ولَّا واحدة فرحانة ... بإيه؟ بإنه سلَّم نفسه لواحدة ترتب له حياته وتربطه في الساقية بتاعة الدنيا ... هي دي الحرية؟

السجين: إيه الفلسفة دي كلها؟

(تنطفئ أنوار الشاشة ويعود الحائط.)

السجان: مش الساقية دي اللي انت بتسميها الجسور؟

السجين: سمِّيها السلاسل إن كنت عايز!

السجان: وحسنية بقى كسرت السلاسل؟

السجين: ما كانش فيه بديل.

السجان: كفاية مغالطة بقى يا كمال ... انت بتلف وتدور ليه؟! خايف عليَّ؟ فاكرني موش حاقدر أقف على رجلي وأتحمل المسئولية اللي انت اتحملتها؟ ليه بتقول كلام ضد أفكارك ... ضد اللي انت عملته بإيدك دي! يا راجل يا ... حُر!

السجين (ساخرًا): دانت الظاهر رضيت عني!

السجان: من يوم ما جيت هنا يا كمال حياتي كلها اتغيرت! كنت لأول مرة باشوف قدامي راجل حُر، ما كنتش فاهم ده معناه إيه، ع الورق انت متهم زيك زي غيرك، لكن بالنسبة لي يا كمال إنت الحر الوحيد ... الراجل اللي قدر يقطع الشك بسكينة صغيرة! انت شكيت في سلومة ... عرفت عنها اللي انا عرفته عن حسنية! لكن انت راجل ومش ممكن تعيش في عذاب ... ساجن نفسك ورا باب مقفول زيي وبتقول يا ترى مراتي بتخوني ولَّا لأ؟! ما كانش ممكن؛ لأنك حُر.

السجين: إنت فاهمني غلط خالص!

السجان: بالعكس ... دانا ما فهمتكش زي ما فهمتك دلوقت ... أنا بقى لي فترة عايش معاك وجواك وما ليش هم غيرك، ... راقبتك ولاغيتك وكلِّمتك ودايريت عنك أخبار الدنيا المقرفة عشان تصفا لي وتعترف لي ... (في ألم) كنت باضربك كإني باضرب نفسي ... غيظي من نفسي واحتقاري لضعفي ... كبست على نفسك لحد ما زهقتك مني وخليتك تكرهني!

السجين: أنا ما بكرهش حد.

السجان: اسمعني للآخر أرجوك ... أنا استحملت ده كله عشان أحس قد إيه الإنسان يقدر يستحمل، وانت ... استحملت زي البطل ... بصيت لنفسي وقلت: لإمتى حافضل محبوس في سجن الشك؟ وسجن حسنية؟ كان لازم أخرج م السجن بتاعي، سجن شكوكي وسجن ضعفي قصاد جمال ... عينيها الزرقا وشعرها الأحمر، سجن عجزي عنها، عجزي عن أي حاجة ... (في انهيار تام) كنت باموت في اليوم ميت مرة، أروَّح م السجن ألاقي نفسي في سجن تاني رهيب ... ألاقي نفسي مُحاصَر بمليون سؤال، يا ترى كانت فين؟ يا ترى كلِّمت مين؟ يا ترى فكَّرَت في إيه؟ أكلمها ترد عليَّ بآه أو لا، كل ما احاول أقرَّب منها تسيبني وتقفل الباب وراها، ألاقي نَفسي باجري في الشارع موش عارف رايح فين ولا جاي منين ... وقدامي صورة الراجل العظيم اللي فضَّل السجن على حياة السجن!

السجين: إذا كان قصدك سجن الشك ...

السجان (مقاطعًا): سجن الضعف يا كمال!

السجين: كنت عايزني اعترف لك إني قتلت سلومة عشان ضعفي؟

السجان: عشان قوتك!

السجين: إنت مستحيل التفاهم معاك النهارده!

السجان: بالعكس، النهارده بس ... التفاهم بقى ممكن!

السجين: يا كمال أنا حاولت أشرح لك إني ما قدرتش أواجه واحدة حرة، سلومة كات أكبر مني، روح طايرة بجناحين، دنيتها أكبر من دنيتنا، كان مستحيل ... حاجة جواي كات بتقول لي مستحيل تقبل حرية سلومة!

السجان: وما قبلتهاش! رفضتها، اتأكدت وضربت ضربتك!

السجين: اتأكدت من إيه؟ كان قدامي فرصة أثبت لنفسي إني حر، إني أقدر أشوف الباب مقفول عليها وما خبطش عليه، كان ممكن أقول لنفسي أنا واثق م اللي جوه، موش عايز أفتح، لو فتحت موش عايز أشوف اللي قدامي، لكن في لحظة ضعف فتحت!

السجان: في لحظة قوة.

السجين: لحظة ضعف!

السجان: قتلتها؟

السجين: أفندم؟!

السجان: قتلتها! واستريحت للأبد!

السجين: قتلت مين؟

السجان: قتلت الشك للأبد ... راح ... زال ... واتحررت! (في استغراق عنيف) ماعدش فيه عينين زرقا ولا شفايف حمرا تنده اللي يسوى واللي ما يسواش ... خلاص يابو كمال، الواحد يقدر يرفع راسه ويتكلم، ويقول من غير خوف، خلاص يابو كمال!

السجين (في توجُّس): إنت بتتكلم على مين؟

السجان: ما بقاش فيه حد يقفل على نفسه من جوه، ما بقاش في أسرار ولا ألغاز!

السجين (في ذعر): إنت عملت إيه يا كمال؟

السجان: كان لازم يا صاحبي، كان لازم أحرر نفسي من جوه!

السجين: كمال ... إنت ...؟!

السجان: أيوه، قتلتها!

السجين: حسنية؟

السجان: قفلت العينين الزرقا للأبد!

السجين: قتلتها إمتى يا كمال؟

السجان: ما اعرفش، ما تسألنيش، الأودة الضلمة اتفتحت، ونورت، ما عدش فيه ضلمة! (يُقبل عليه بشغف ويحاول احتضانه) وانت السبب! إنت اللي أنقذتني، عرفت ليه أنا بحبك وعايزك جنبي دايمًا؟! ومن يومها يا كمال ما عدتش أقدر أضربك!

السجين (في ذهول)**:** يخرب بيتك ... وعملت إيه في الـ...؟

السجان: ما اعرفش!

السجين: وديتها فين؟

السجان: ما اعرفش، نقلتها، رميتها في الجبل.

السجين: يا كمال يا مسكين، تعالى جنبي، تعالى! (يسحبه من يده في رقة) إنت عملت إيه؟ أنا خليتك تعمل إيه؟ وحاكفَّر دلوقتي عن ذنبي إزاي؟! أنا كدبت عليك يا كمال، أنا عمري ما قتلت حد، ولا رفعت سكينة في وش حد ... غير وشك انت!

السجان: انت معترف يا كمال!

السجين: أنا ما قتلتش سلومة يا كمال، أنا ما قتلتش حد أبدًا!

السجان: أمال مين اللي ...

السجين: قتلتها؟ ومين قال انها اتقتلت؟!

السجان: إزاي بقى؟

السجين: سلومة هربت يا صاحبي!

السجان: هربت منك؟

السجين: لا، موش مني ... م الدنيا، هجِّت ... اختفت، فص ملح وداب.

السجان: بس انت معترف! انت المتهم.

السجين: بالظبط، معترف ومتهم.

السجان: والجريمة؟

السجين: جريمة إيه؟

السجان: إزاي أثبتوا ...؟

السجين: ما أثبتوش، ما تنساش يا كمال ... أنا هنا محبوس رهن التحقيق.

السجان: عشان اعترفت!

السجين: كان لازم أعترف، لازم أواجه الناس واواجه نفسي، لكن طول ما المحقق موش شايف دليل مادي قدامه ...

السجان: يعني جسد الجريمة ...؟

السجين: ما فيش! مين يقدر يلبسني التهمة؟ (ساخرًا) التهمة اللي لازم ألبسها ولازم أفضل لابسها. ما قدرش أعيش من غيرها!

السجان: لكن انت ...

السجين: معترف! قطعًا يا حبيبي ... ولازم أفضل معترف ... السجن بالنسبة لي أرحم من حياة الشك وعذاب التفكير ... خليني أعترف لك اعتراف أحسن ... أنا عَجَزت يا كمال إني أعمل علاقة! أي نوع م العلاقة مع أي حد ... أنا كنت باقفل على نفسي الأودة وأفضل في الضلمة لإني ما كنتش أقدر أواجه واحدة حرة ... الحياة كانت جحيم، الليل ضلمة مالهاش نهاية، والنهار طريق يوصل للضلمة ... سبت الشغل، ما كانش في حياتي غير الخلاص م الشك ... الشك ... اللي بكل أسف حيعيش معاي للأبد.

(يدق الباب ويدخل ضابط ويقرأ من ورقة بعد قليل.)

الضابط: مساء الخير يا فندم ... (إلى السجين) فيه تطورات في قضيتك يا كمال، طلبك التحويل للكشف عند طبيب أمراض عقلية رُفض.

السجان: أمراض عقلية؟

الضابط: جانا من وكيل النيابة تقرير عايزك تسمعه: «عثر بعض الصبيان أثناء لعبهم الكرة في منطقة السياجي بالجبل على ...»

السجين: ما تكملش ... مراتي!

الضابط (مستمرًّا): «وسوف يتم عرضها على المتهم ليتعرَّف عليها.»

السجين: شعرها أحمر ... وعينيها زرقا؟

الضابط: تمام!

السجان (يتمتم في هلع): حسنية!

السجين (صارخًا): سلومة! سلومة يا كمال!

الضابط: ع العموم ... من واقع الاعتراف يبدو إن دي جريمة شرف، وجرايم الشرف عقابها بسيط، وانت تقريبًا قضيت المدة اللي حيتحكم بيها عليك، يعني ممكن تخرج على طول!

السجان: يخرج؟! (في لوثة) يخرج فين؟ يروح فين؟

الضابط: إحنا لازم ننقله دلوقتي يا فندم ... حضرتك عارف الإجراءات ... يلَّا يا كمال!

السجان: يلَّا فين؟ وانا؟ أنا موش حاخرج؟ أنا لازم أخرج ... أنا بريء يا ناس! مظلوم والله مظلوم! (يصرخ في جنون) ما كانش ممكن أواجه واحدة حرة، مين يقدر يستحمل الهوا اللي بيهب من كل ناحية؟ موج البحر العالي اللي ما لوش شط، مين يقدر يواجه النار اللي ما فيش مَيَّه تطفيها ... (في لوثة ويتحرك في كل مكان) كان لازم أتحرر م الشك يا كمال ... حضرة القاضي! عايز أتحرر م الشك، قول لى ازاي أتأكد ... يا كمال! انت رايح فين يا كمال؟! أرجوك ... ما تخرجشي وتسيبني، أرجوك ... كمال ... إنت أملي الوحيد ... خليك معاي هنا، الغي اعترافك! انكر، كمال ... حرام عليك يا كمال، السجن بقى ضيق عليَّ قوي! (يبكي) السجن بقى ضيق عليَّ قوي.

(ينهار باكيًا والسجين يربت على كتفه والضابط في ذهول لما يحدث بينما تهبط الستار رويدًا رويدًا.)

(ستار.)

الصديقان

المنظر: مكتب أنيق يليق بمدير أو رئيس مجلس إدارة شركة أو مصلحة حكومية. فاخر ووثير، في الخلف باب مكتوب عليه «المعمل»، وإلى اليمين باب يؤدي إلى السكرتير والشارع، وإلى أقصى اليسار شُرفة ضخمة نَلمح منها مآذن القاهرة وقِمَم البيوت العالية وسماءً صافية.

الزمن: الحاضر.

الشخصيات:

عبده: في الأربعين تقريبًا.

فتحي: نفس العمر.

منى: في الثلاثين.

عندما يُفتح الستار نرى عبده جالسًا إلى مكتبه، ثم ينهض بعصبية ظاهرة وخطوات آلية ويتجوَّل في الغرفة، يُعيد ترتيب بعض الزجاجات على الرفوف في دولاب أدوية واضح، يُخرج زجاجة ويتأملها ثم يضعها على حافة المكتب. يُخرج دورقًا فيه عصير ليمون ومحكم الإغلاق. يفتحه ويضعه على صينية ويُخرج كوبًا واحدًا يضعه إلى جواره ثم يضع الصينية بما عليها على رفٍّ قريب. يزيل بطاقةً من الدورق ويبتعد ليُلقي نظرةً على الصينية ثم يعود إلى المكتب فيدقُّ جرسًا ولكنه لا يتلقَّى إجابة. يُدير قرص التليفون ويسمع، ولكنه يُعيد السماعة في ضِيق. يضرب رقمًا آخَر ويُعيد السماعة ... لا رد ... فجأةً يقرِّر إعادة الزجاجة إلى مكانها في الدولاب ... ثم يسمع أصوات إغلاق باب، فيجري إلى جهاز التخاطُب الداخلي مع السكرتارية ويضغط زرًّا ويبدأ الحديث.

عبده (في لهجة عصبية وبتعنيف)**:** حمد الله بالسلامة يا هانم! الساعة بقت حداشر! دي مواعيد عمل دي ولا مواعيد غرامية؟ (يسمع همهمة في الجهاز) مفهوم مفهوم! كل يوم فيه عذر جديد ... مش مهم ... اسمعي ... الغي كل مواعيد النهارده ... كلها ... أيوه! ما حدش يهوِّب ناحية المكتب ولا المعمل، فاهمة؟! أول ما تيجي المدام خليها تخش على طول ... والدكتور ... آ... نسيت أقول لك الدكتور فتحي عبد ربه ... (يسمع همهمة في الجهاز) هو ميعادهم فات في الحقيقة، بس كل حاجة تانية تتأجل، وقبل ما تمشي ادِيني خبر.

(يغلق الجهاز ويسير في الغرفة في قلق، ثم يتجه إلى الشرفة ويتأمل إحدى النباتات.)

كل حاجة ممكن تتأجل النهارده ... عشر سنين؟ حداشر سنة؟ حداشر؟ (ينظر إلى الساعة) الساعة بقت حداشر صحيح! يا ترى إيه اللي حصل؟

(يفتح الجريدة ثم يغلقها ويضعها على المنضدة وفجأةً تدخل منى.)

منى (داخلة في عجلة)**:** خير يا عبده؟
عبده: أهلًا منى ... اتفضلي!
منى: هيه ... إيه الموضوع الهام والخطير اللي عايزني فيه؟
عبده: مفاجأة!
منى: موش فاهمة!
عبده: موش فاهمة إيه؟ مفاجأة بقول لك.
منى (بنفاد صبر)**:** واحنا فيه في حياتنا مفاجآت؟ أرجوك يا عبده اتكلم!
عبده: منى! انتي بقى لك قد إيه ما جيتيش المكتب؟
منى: يووه! (تزفر في ضِيق) وده وقته برضه؟
عبده: من يوم ما اتجوزنا؟
منى: لا، جيت بعد كده!
عبده: مرة أو مرتين.
منى: كتير.
عبده: لا، انتي استقلتي من يوم ما اتجوزنا ومن يوميها موش عاجبك المكتب ولا المعمل.
منى (في رقة)**:** أرجوك يا عبده ... أنا مش فاضية ... أرجوك!

عبده: المفاجأة اللي عندي بقى ... من بتوع زمان.

منى (تبدو عليها السعادة والدهشة): صحيح؟

عبده: صدقيني!

منى (تفكر وتقول بهمس ودلال): ألماظ؟

عبده: أغلى وأحسن!

منى: حتكون إيه؟ غُلب حماري.

عبده: أخطر وأهم خبر سمعتيه في حياتك!

منى (في دلال شديد): خاص بالبيت؟ فيلَّا في ...

عبده (مقاطعًا وهو يهرع إلى الدولاب): شوفي (يتردد ويقف) انتي صحيح مستعدة للمفاجأة؟

منى: عبده كفاية بقى ... (في دلال) دوختني!

عبده: تقدري تستحملي؟

منى: أغمَّض عيني؟!

عبده: ما فيش داعي! اتفضلي يا ستي! (في تؤدة كمَن يُفضي بأهم خبر في القرن العشرين) الدوا الجديد نجح!

منى (في ذهول): أفندم!

عبده: الدوا الجديد ... بتاع الدم اللي كلمتك عليه.

منى (منفجرة): انت جايبني هنا، وخليتني أطُخ المشوار ده كله، وألغي تلات مواعيد مهمة، عشان تكلمني عن دوا؟ انت فاكرني منى بتاعة زمان يا سي عبده؟ ما عندكش تقدير؟ ما فيش نظر؟

عبده (يقدِّم إليها الزجاجة): أهه ... شوفي!

منى: انت اتجننت يا عبده؟ (فجأةً تتبين أنه مرهق وأنه في وضع جدير بالشفقة، تلين وتتغير لهجتها إلى رقة) يا حبيبي يا مسكين! أنا مقدرة تعبك وسهر الليالي، معلهش ... حصل خير ... خد (تُعطيه قرصًا من حقيبة يدها) خد ده ... حيهديك شوية.

عبده (في لهجة استسلام ويأس): الدوا ده حيبدأ صفحة جديدة في تاريخ الطب، كنت عايزك تكوني أول واحدة تشوف التركيبة بتاعته (في يأس) زي زمان!

منى (تنظر في الساعة): أنا اتأخرت قوي يا عبده.

عبده: أرجوكي استني شوية!

منى: انت عارف مشاغلي كويس.

عبده: معلهش ... (يبتعد ويقول في لهجة ماكرة وهو يرمقها بطرف عينه) هو فتحي زمانه جاي.

منى: فتحي مين؟

عبده: وهو احنا عندنا كام فتحي؟

منى (في اضطراب)**:** الدكتور؟

وإيه اللي حيجيبه دلوقت؟ هو ... هو ... مش عايش بره؟!

عبده: بعت له مخصوص عشان ييجي، وصل امبارح بالليل وزمانه جاي دلوقت.

منى: ليه؟ قصدي ليه لأ ... قصدي جاي لوحده ولَّا ...؟ (صمت.)

(منى يتغير سلوكها إلى عصبية ظاهرة ويتهدَّج صوتها ويبدو بوضوح أنها بالغة الاضطراب.)

عبده: عندك مانع؟

منى (بعصبية ظاهرة)**:** وما قلتليش ليه قبل كده؟ امبارح ... أول امبارح!

عبده: أديني قلتلك، ممكن تتفضلي بقى!

منى: أتفضل إيه؟

عبده (في مكر)**:** قصدي إن كنتي عايزة تمشي يعني!

منى (تمثِّل الرقة ولكن سلوكها لا يزال عصبيًّا)**:** أمشي؟ أمشي فين؟ (تبتسم) إنت موش كنت حاتكلمني عن الدوا؟

عبده (فاهمًا أنها تريد الانتظار لترى فتحي)**:** يا منى يا حبيبتي!

منى: اتكلم!

عبده: أبدًا، زي مانتي عارفة ... التركيبة الأساسية ما اتغيرتش ... نفس تركيبة السم القديمة، السم اللي ...

منى (صارخة)**:** كفاية ... عارفة!

عبده: لكن أنا بقى أضفت عامل الزمن، أضفت مواد بتتفاعل مع السم وتحوله لعلاج بعد فتره زمنية معيَّنة.

منى (كأنما لنفسها)**:** هو فتحي جاي إمتى؟

عبده (مستمرًّا)**:** وده اللي ما خطرش لفتحي أبدًا ...

منى: لازم نزل في لوكاندة بقى بعد ما باع البيت!

عبده: أمنيتي الوحيدة دلوقت إني أشوف وش فتحي لما يقرا التركيبة، أبص في عينيه وانسى الدنيا كلها. منى ... منى يا حبيبتي أنا عشت السنين دي كلها في عذاب ... عذاب طويل وعميق ... كنت باشوف نفسي مجرد منفذ ... واحد بينفذ أفكار فتحي ... معادلاته وتركيباته واختراعاته ... عمري ما قدرت أركب تركيبة خاصة بي أنا ... تركيبة تُنشر في المجلات العلمية وتحتها اسم الدكتور عبده عبد الباسط ... تركيبة مستحيل يكون فكَّر فيها حد!

(فترة صمت.)

تفتكري حينهار لما يشوفها؟ ولَّا حيفرح ويطير م الفرح؟ (مغيِّرًا اللهجة) فتحي كان رأيه إن عنصر الزمن يَصعب تخطيه ... وقال لي في سويسرا فاكرة يا مني؟ قبل ما نتجوز! قال لي إن أمنيته يعمل حاجة تتعارض فيها الأزمنة. فاكرة رحلتنا لشركة سيبا والأيام الحلوة اللي قضيناها بين الجبال والبحيرات؟

(صمت.)

خلاص، الحلم انتهى، القزازة أهي، إديني لحظة واحدة وانا أوريكي ازاي وصلت للمعادلة.

(يخرج من الباب الخلفي «المعمل».)

منى: دا كابوس موش حلم! فتحي يرجع مصر؟ ليه؟ عشان الدوا صحيح؟ يا ترى كبر قوي وشعره ابيض؟ لسه محتفظ بال... بال...؟ قطعًا! فتحي بيحاسب على نفسه ومنظم حياته كويس. (تضحك) عشر سنين! كبرنا وعقلنا! عنصر الزمن! أما نُكتة!

(تتحسس وجهها في خوف ثم تُخرج مرآة تنظر فيها وتضع بعض المساحيق سريعًا.)

لأ مش نُكتة! لأ ... موش هزار.

(يدخل فتحي من أقصى اليمين.)

(تتسمر في مكانها حين تراه.)

منى: فتحي!
فتحي (بهدوء)**:** إزيك يا منى؟!
منى: فتحي ... حمد الله بالسلامة!
فتحي: الله يسلمك ... فين عبده؟!
منى (في حرج شديد)**:** إزي الصحة؟
فتحي: الحمد لله، هو عبده موش هنا؟
منى (في نفس الحرج)**:** أهلًا وسهلًا ... كلنا كويسين ... انت ... انت جيت لوحدك؟
فتحي: في الحقيقة ... آ...
منى: أصلها مفاجأة يعني.
فتحي: انتي ما كنتيش عارفة إني جاي دلوقت؟
منى: آه ... لأ!
فتحي: أنا كنت متصور إن عبده قال لك، وبصراحة كنت منتظر أشوفك النهارده (مترددًا) بس موش دلوقت يمكن.
منى: ما كنتش عايز تشوفني؟
فتحي: انتي عارفة اني كنت عايز!
منى: عشر سنين ولا جواب ولا تليفون ولا ...؟
فتحي: إزاي بقى؟
منى: لي أقصد!
فتحي: أنا دايمًا أكتب واتكلم ... اسألي عبده!
منى (في حيرة)**:** كنت بتكتب صحيح؟ والجوابات كات بتضيع مثلًا؟
فتحي: يمكن ... بس كان عبده بيرد عليَّ!
منى: موش ممكن، أنا باشوف كل جواباته ... لا لا لا، إنت كذاب (في دلال) موش ممكن تكون لسه فاكرني بعد السنين دي كلها، ع العموم الجوابات موش مهمة ... تكتب ما تكتبش موش مهم!
المهم انك قدامي دلوقت (في حيرة) وانا ... بعد السنين دي كلها.
فتحي (يحس بالحرج فيحاول تغيير الحديث)**:** هو عبده راح فين؟
منى: هنا.
فتحي: هنا فين؟

منى: ما اعرفش، أجيب لك لمون؟ طول عمرك تحب اللمون!
فتحي (يضحك)**:** انتي فاكرة؟
منى: أهه ... في الدولاب، زي ما يكون حد محضره مخصوص، عصير طبيعي وحتة سكر واحدة!
فتحي: ما تتعبيش نفسك.
منى: دا جاهز!

(تُقدِّم له شراب الليمون.)

فتحي: مِرْسي قوي ... طعمه بقى غريب عليَّ!
منى: مُر شوية، ما بقتش تحبه؟
فتحي (يشرب)**:** بالعكس! ما بقيتش ألاقيه!
منى: ما فيش لمون في بلاد برَّة؟
فتحي: فيه طبعًا كتير، بس أصله زي ما تقولي بيفكرني بحاجات بحاول أنساها.
منى (في سعادة وترقب)**:** بيفكرك بإيه؟
فتحي: ما لوش لزوم بقى!
منى (تقترب منه وتركز على وجهه)**:** نسيتني خلاص يا فتحي؟
فتحي (في إحراج شديد)**:** منى، أرجوكي!
منى: كانت سحابة صيف وراحت؟! صيف ورا صيف ورا صيف ورا صيف ... عشر سنين! (مستغرقة في نفس الإحساس) إزاي الواحد ممكن يفوق فجأة ما يلاقيش الحلم بتاعه؟ يلاقيه انتهى ... هرب!
فتحي: ما كنش حلم يا منى!
منى (في إثارة)**:** كان حقيقة يا فتحي؟! كنت بتحبني صحيح؟
فتحي: «كنت؟»
منى: كنت ولسه، وحتفضل على طول تحبني، قول ... قول لي يا فتحي!
فتحي (في حرج رهيب)**:** لزومه إيه بس يا منى؟ إحنا ...
منى: لا، ما كبرناش، لسه صغيرين، ولسه بنمشي ع النيل ولسه بنشرب لمون ... (فجأة) فتحي حبيبي ... ليه سبتنا السنين دي كلها؟
فتحي: موش أنا اللي سبتكو.

منى: انت هربت!
فتحي: موش انا اللي هربت!
منى: انت هاجرت.
فتحي: انتي اتجوزتي عبده ... اللي بيحبك ... وبتحبيه.

(صمت، تدور حول نفسها ثم تقف بعيدًا عنه ثم تخفض بصرها وتهمس.)

منى: دا صحيح!
فتحي: عشر سنين، عشر سنين بينا ... بحر واسع كبير.
منى: وفي لحظة بقينا سوا ... (في انفعال مفاجئ) فتحي ... ما تسيبناش، إحنا بنحبك وعايزينك. فتحي ... إحنا ...
فتحي (مقاطعًا): إحنا؟ إنتو مين؟ إنتي يا منى؟ ولَّا انتو؟ أنا كمان يا منى بحبكم، باعبدكم! قبل ما حبيتك يا منى حبيت عبده ... حبيته صحيح ... علاقتنا ما كانتش صداقة وما كانش ممكن تبقى صداقة ... الصداقة دي حجة البليد ... (يضحك) حجة اللي ما يقدرش يحب!
منى: عارفة اللي بينكو.
فتحي: موش ممكن ... وعمرك ما حتعرفي ... إحنا لما حبينا بعض حُبنا كان نبع صافي، نور ماعرفش بييجي منين ولا بيروح فين، شمس كبيرة بتنور الكون كله، ووسط الشمس دي ... في المركز بالضبط كان عبده!
منى: إنت بتقول الكلام ده ليه؟
فتحي (يهدأ): صحيح! مالوش لزوم!

(يتجول في المكتب، يرى الجرس، يعبث بالأوراق، ثم يعود لمواجهتها فيرى في عينَيها نظرات دهشة، كأنما لم تكن تتوقع منه الانفعال. يجلس ثم يقف، ثم يركِّز نظره عليها، ويواجهها في دفء.)

منى: أنا زعلتك يا فتحي؟
فتحي: موش ممكن ... إنتي صغيرة يا منى، كان نفسي تعرفي الكلام ده من زمان ... كان نفسي تفهمي إنك يوم ما حبيتيني كنتي بتحبي فيَّ عبده ... عبده اللي عايش جواي!
منى: أنا حبيتك انت يا فتحي!

فتحي (كريشندو)**:** في اللحظة اللي حبتيني فيها كان عبده جواي، عايش جواي وما اقدرش اتخلص منه ... (حائرًا) أشرح لك ازاي؟ ليه موش عايزة تفهميني؟

منى: ليه انت موش عايز تفهمني؟ (انفعال شديد) أنا حبيتك انت يا فتحي! صدقني ... اتعذبت وسهرت وانهرت وكنت حانتحر عشانك ... كنت باشوف الدنيا بعينيك ... باقرا بلسانك ... بافكر بعقلك، كنت الحياة بالنسبة لي (تبكي) ولسه زي زمان.

فتحي: عشان خاطري ما تعيطيش ... امسحي دموعك! (يربت على كتفها ويمسح دموعها) أنا كنت زيك بالضبط ... كنت فاكر إن حُبنا عالَم كبير ... عالَم مستقل من النور والأمل ... لحد اليوم اياه، يمكن ما انتيش فاكراه، لكن دي الحقيقة ... يوم ما طلعنا الجبل في سويسرا ... فاكرة يا منى؟

منى (في ذهول)**:** فاكرة يا فتحي.

فتحي: اعترفتي لي بحبك يومها ... ومشينا احنا التلاتة بعد الغروب زي ما نكون ماشيين في السحاب، وفجأة التفت ولقيت الدموع في عينيكي، ماكَنِتْش دموع فرح ولا كانت دموع حزن ... كانت دموع طبيعية صافية زي دموع السما من حوالينا، كنتي خايفة على عبده وماسكة في دراعه زي ما يكون أمل حيضيع منك ... كنتي بتحضنيه وانتي موش دارية ... كان فيه حاجة جواكي بتقول إن عبده هو ابني الصغير اللي محتاج لي ... وموش ممكن أبتعد عنه ... كان قلبك بيتلوَّى م الخوف ... وفجأة ... بصيتي للسفح البعيد وارتعشتْ إيديكي وكل جسمك.

(صمت.)

لا ... ماكُنتيش خايفة م السفح ولا الوادي ولا الضلمة ... كنتي خايفة م اللحظة المحتومة ... اللحظة اللي ممكن تبعدك عن عبده!

(صمت.)

ساعتها ... زي ما تكون السحابة اللي مشيت عليها وعشت فيها راحت عن عيني ... بصيت لك وعرفت انك طول الوقت كنتي بتحبي عبده ... عبده اللي أنا شايله جواي، ولَّما شُفتيه كان فات الأوان واعترفتيلي أنا بحبك ... وساعتها كمان قررت ما اضحِّيش بعبده وبيكي عشان سعادة وهمية ... لكن فضلت أحبك!

منى: ولسه بتحبني؟

فتحي: عشان بحب عبده.

منى: وانا؟

فتحي: المشكلة يا منى إنه كان لازم عبده يحبك لإني حبيتك، وكان لازم تحبيني انتي لأنك بتحبي عبده!

منى: إنت بتقول ألغاز.

فتحي: وعشان كده قررت أكسر الدايرة اللعينة اللي جمعتنا واهاجر.

منى: لكن أنا بحبك يا فتحي ... صدقني ... بحبك صحيح!

فتحي: وعبده؟

منى: ما له عبده؟

فتحي: عبده اللي جواي!

منى: عارفة ... (في ثقةٍ وتحدٍّ) عارفة كل حاجة ... وما فيش داعي تعمل مسرحية كبيرة عريضة من عبده ... لانتو أول أصدقاء بيحبوا بعض ولا آخِر أصدقاء حيحبوا بعض ... (في دفء) وتأكَّدْ إن عمري ما صدقت الكلام اللي كان بيتقال عنكو في الشركة ... طول عمري واثقة انه ما فيش حاجة بينكو.

فتحي (ينخرط في الضحك): حلوة ما فيش حاجة دي! علاقة غير طبيعية يعني؟ طبعًا لا! ومع ذلك فبرضه علاقتنا غير طبيعية! يا ريت تقدري تسمعيني ولو مرة يا منى ... أنا وعبده عمرنا ما افترقنا عن بعض ... من الابتدائي للجامعة ... حتى بعد التخرُّج كان لازم نشتغل في حتة واحدة ... في شركة أدوية واحدة ومعمل أبحاث واحد ... ما كانش ممكن ننفصل! ما فيش فكرة خطرت لي إلَّا وكانت مهرجان من السعادة عندي وعنده ... ما فيش معادلة جديدة ولا تركيبة عبقرية إلا عِشناها سوا واحتفلنا بيها أيام وليالي.

منى: فاهمة يا فتحي!

فتحي: موش ممكن ... أنا نفسي مش فاهم العلاقة لحد الوقت ... لكن يوم ماجات البعثة (في حماس ورهبة) كنا زي ما نكون دخلنا معبد يوناني قديم ... صالة كبيرة طولها كيلو ... وعرضها كيلو ... وسقفها عالي للسما. والهمسة فيها لها صدى مخيف ... حسيت بوحشة وارتباك ... التفت حولي ما لقيتش عبده.

منى: اتخلَّى عنك؟

فتحي: كان المرشح الأول للبعثة، وأصر إنه يتنازل لي ... القوانين واللوايح والدنيا كلها كات ضده ... فِضل يحارب لحد ما نجح.

منى: «نجح» بتقول؟

فتحي: نجح في إنه يخليني أنا أنجح ... شاف نجاحي ونجاحه فيَّ، ضحَّى بالبعثة عشاني أنا!

منى: ومع ذلك أول ما رجعت م البعثة ... هاجرت!

فتحي (يضحك)**:** انتي عارفة ان الوظيفة بره كات جاية له هو؟

منى: ضحَّى بيها كمان عشانك؟

فتحي: كافح كفاح المستميت عشان يخليني أنا أسافر!

(صمت.)

منى: موش عارفة دا ممكن يغير إيه في الموضوع!

فتحي: ما فيش حاجة لازم تتغير (في هدوء تام) أنا سعيد اللي قلتلك الكلام ده دلوقت يا منى ... مين عارف بكرة مخبي لنا إيه! حُبنا ما كانش حلم ... بس فيه حقايق زي الأحلام.

منى: ولازم ننساها؟

فتحي: ما اعرفش!

منى: لازم أنسى أنا ... زي انت ما نسيت؟

فتحي: لازم تحاولي!

منى (ثائرة)**:** كداب ... كداب ... كداب ... إنت عمرك ما نسيت منى! وعمرك ما حتنساها!

(تهجم عليه وتضربه بقبضتها في دلال ثم تحتضنه وتُقبِّله قُبلة طويلة يشاركها فيها أول الأمر، ثم ... أثناء مسح دموعها، يدخل عبده من الخلف.)

عبده (متجاهلًا ما يرى)**:** فتحي حبيبي! إزيك يا راجل ... وصلت إمتى؟

فتحي: عبده حبيبي!

عبده: إيه التأخير ده يا عم؟ أنا باستناك م الصبح!

فتحي: لا أبدًا ... دنا (في حرج) أنا أصلي ...

عبده: طبعا ياعم لازم تزور زوزو ومجدي وكل الحبايب.

فتحي (نفس الحرج)**:** بالعكس ... دنا ...

عبده: الله! انت ماحدش قدِّم لك حاجة ولَّا إيه؟

فتحي: مِرْسِي قوي ... شربت لمون!
عبده: تحب حاجة تانية؟
منى (تتظاهر بأن شيئًا لم يحدث): أنا قدمت له اللمون اللي في الدورق!
عبده (ينتبه إلى وجودها): انتي لسه هنا يا منى؟
منى (تنظر إليهما في غضب ثم تتجه إلى باب الخروج وتخرج): باي باي!
عبده: ودلوقت بقى أوريك الانتصار الكبير ... حضَّرْت عشر قزايز على الأقل.
فتحي: طول عمرك سريع!
عبده: الأهم من ده التركيبة!
فتحي: وطول عمرك عفريت في الرياضة!
عبده: قول لي الأول ... أخبار بلاد بره إيه؟ عادل كويس وسُها؟ ياترى استريحت هناك؟
فتحي: الحمد لله ... كلنا كويسين!
عبده: والشركة؟ لازم منغنغينك ياعم!
فتحي: يعني ... ماشية!
عبده: ماشية بس؟ دي لازم بتجري (يضحك).
فتحي: دا الدوا اللي قلتلي عليه في آخِر جواب؟
عبده (فجأةً يفقد الحماس ويفتر عزمه، ويبتعد، ينظر إلى فتحي، يضع يدَيه حول رأسه ثم يتقدم من فتحي في تردُّد قبل أن يتكلم): شوف يا فتحي ... اسمع، الحكاية موش حكاية دوا.
فتحي (في حيرة): موش فاهم!
عبده (صارخًا): حتفهم ازاي بس؟!
فتحي: سلامتك يا عبده، انت كويس؟!

(صمت مشوب بتوتُّر رهيب يدور أثناءه عبده على المسرح كأنه هو ثور مربوط في ساقية، ثم يقف فجأةً أمام فتحي كأنما لينازله.)

عبده: أنا بَعَت لك تيجي عشان أقتلك!

(صمت.)

فتحي: عشان إيه؟!

عبده (في تُؤدة وتأنٍّ): عشان أضع حد للعلاقة الغريبة دي اللي استمرت سنين وسنين ... ومش ممكن تستمر بعد كده ... واحد مننا لازم يموت!

فتحي (مضطربًا بعض الشيء): أؤكد لك انِّي عمري ما خنتك مع منى ... الموضوع وما فيه ...

عبده: أنا مابتكلمش على منى.

فتحي: من ناحيتي أنا ...

عبده: ما تقاطعنيش أرجوك.

فتحي: انت أعصابك ...

عبده: أعصابي كويسة ... أرجوك اسمعني ... الكلام اللي بقوله لك فكرت فيه أيام وشهور وسنين ... إحنا أصدقاء من إمتى ... تقدر تقول لي؟

فتحي: طول عمرنا.

عبده: أصدقاء؟

فتحي: حبايب.

عبده: أكتر من حبايب؟

فتحي: يعني إيه؟

عبده: يعني حبايب أكتر من اللازم مثلًا؟

فتحي: إزاي بقى؟

عبده: يعني (صمت) أعداء؟

فتحي: لا لا لا ... عبده ... إنت قطعًا موش طبيعي النهارده.

عبده (في هدوء غير متوقع كأنما هو استسلام للقدر): أنا عمري ما كنت طبيعي زي النهارده ... عمري ما قدرت أتحكم في أعصابي واتمالك نفسي زي النهارده.

فتحي: تتمالك نفسك على إيه؟ المسألة فيها سوء تفاهم ... مُنى كانت بتعيط وانا ...

عبده: عارف ... سمعت اللي قلتوه.

فتحي: سمعت؟

عبده: وشفت.

فتحي: أنا أؤكد لك ...

عبده: وأنا مصدقك ... منى دي مسألة جانبية ... عَرَض من أعراض المرض ... موش المرض نفسه.

فتحي: مرض إيه يا عبده؟ انت بتقول إيه بس؟

عبده: المرض يا فتحي ... المرض هو احنا ... العلاقة اللي اندفعنا فيها بحماس أعمى ... بجنون مالوش مبرر وعمره ما كان له مبرر ... أرجوك ... اسمعني!

فتحي: يا عبده انت بتخرف.

عبده (فجأةً): تقدر تنكر إنك حاسس بالذنب من ناحيتي؟

فتحي: حاسس بالذنب إزاي؟

عبده: يعني حاسس مثلًا إني كنت أنبل منك ... وانِّي ضحيت عشانك بحاجات معيَّنة ما قدرتش انت — أو ما رضتش — تديني تمن لها؟

فتحي: يا عبده إحنا حبايب ... ولا يمكن بين الـ...

عبده: إحساسك بالذنب الحقيقي ... إحساسك بإني نبيل ... بإني وإني وإني ... (يضحك) إحساس غير طبيعي! وما دام متصور إن المسألة خاصة بمنى أبدأ بيها. (صمت) اللحظة الوحيدة اللي حسيت بإنك نبيل وبتضحي عشاني كانت في سويسرا ... تمام؟

فتحي: أنا ما ضحيتش بالمعنى المفهوم ... انتو طول عمركو لبعض.

عبده: صحيح؟ خليني أفكرك، إحنا لما رحنا سويسرا كان حلمنا إيه؟ نتجوز؟ نحب؟ أبدًا ... كنا عايزين نجيب عَقد توريد يثبت إننا هنا ... في الشركة العربية للأدوية ... نقدر ننافس بلاد بره، منى جات معانا ليه؟

فتحي: مش منى بس.

عبده: الإداريين والبنات جم معانا ليه؟ ما تقوليش لزوم الإدارة، أنا وانت وغيرنا كنا عايزينهم يتفسحوا ويغطوا على عملية العقد.

فتحي: لا لا لا ... دا تزييف للحقيقة.

عبده (مستمرًّا ومتجاهلًا إياه): ومنى بالذات جات معانا ليه؟ كنا صحيح عايزين سكرتيرة؟

فتحي: طبعًا!

عبده: فتحي حبيبي ... كفاية كدب! إحنا خدناها عشان نشوف مين فينا يقدر ياكلها.

فتحي (صارخًا): عبده! أنا ما اسمحلكش.

عبده (في خجل): معلهش ... كلمة طلعت أوت!

فتحي: أنا ما بانكرش إنه كان فيه بينا كلنا استلطاف ... وفعلًا رشحناها — إلى حد ما يعني — إلى درجة معيَّنة.

عبده: جميل! وبعدين اكتشفت انها بتحبك أو انك بتحبها ... حاجة كده!

فتحي: انت عارف انها كانت بتحبك انت.

عبده: موش بالضبط!

فتحي: دي الحقيقة ... يوم الجبل!

عبده: يوم الجبل الجميل اللي عمال تشعر عليه كان وهم ... انت عارف ليه حطت إيدها في إيدي وحضنتني واحنا نازلين؟ عارف ليه سابتك ورمت نفسها عليَّ؟ فاكر حصل إيه ليلتها؟

فتحي: فاكر ... قضينا الصبحية في التلج واتغدينا في كشك الحارس والمغرب ...

عبده: لا، قبل المغرب، العصر ... كنا فين ساعة العصر؟

فتحي: كنا مع بعض طبعًا.

عبده: لا ... أنا كنت معاها لوحدنا. (في لهجة التأكيد) لوحدنا خالص!

فتحي: مش فاكر دي.

عبده: طبعًا ... لإنك نمت تلاث ساعات في أوتيل بيانكو ... دي كانت البداية والنهاية، ما حسيتش بيها إلا واحنا مروحين ... فكرت في اللي عملته وانكشف لي الطريق الطويل اللي قطعناه سوا ... لكن ... آه ... ما قلتلكش عملنا إيه؟ بعد الغدا على طول شفت الحقيقة لأول مرة ... عرفت انكو بتحبوا بعض حب حقيقي لا يمكن يموت ... نظراتكم ... كلامكم ... سلوككم ... كل حاجة بينكو كانت بتقول إن منى خلاص ... بقت بتاعتك!

فتحي: أنا متأسف، لازم أقاطعك، لازم أوضح.

عبده: كل حاجة واضحة يا فتحي ... المسألة ما كانش فيها شك ... حسيت اني خلاص ...

(صمت، يدور حول نفسه، ثم يقترب من مقدمة المسرح ويتحدث كأنه يخاطب نفسه.)

ما كانش إحساس بالهزيمة، ولا بالغيرة، أبدًا ... كنت باحس لأول مرة في حياتي بإني ضعيف، بإني — ما تستغربش — وحيد!

(صمت.) (يتجه إلى فتحي ويركز بصره عليه.)

إحنا اشتركنا طول عمرنا في كل حاجة ... عمرنا ما حسينا بإن فيه حاجة ممكن تفصل بينا ... منى كانت الحاجة ... الرمز ... اللي خلاني أحس اني واقف لوحدي باتفرج عليكو ... زي ما قلتلك ... ما كانتش غيرة إطلاقًا ... لا كنت غاير منها إنها حتاخدك ... ولا غاير منك انك حتاخدها ... لسبب بسيط ... لإني كنت عارف انك موش ممكن ترتبط بيها رسمي!

فتحي: إنت برجلتني خالص يا عبده ... حكاية قديمة بالشكل ده.

عبده: ومع ذلك حية في ذهني وفي قلبي ... وفي حياتي! طبعًا ... دي حياتي نفسها!

فتحي: وبعدين؟

عبده: خلاص.

فتحي (متردِّدًا)**:** كنت بتقول عملتوا إيه ... يعني ... بعد الضهر؟

عبده: خطبتها!

فتحي: موش معقول!

عبده (يضحك في مرارة)**:** سلاح جبان! لكن ما كانش عندي غيره! كنت عارف إن منى ما تقدرش تقاوم إغراء الجواز مني أو منك ... (صمت) وكنت عارف انك موش ممكن تحاربني بنفس السلاح! (يضحك) إحنا عارفين بعض كويس ... أكتر م اللازم يمكن!

فتحي: وافرض ... افرض ... (في قلق شديد) كل ده مالوش علاقة بصداقتنا!

عبده: قصدك بحبنا!

فتحي: أرجوك يا عبده ... اهدا شوية!

عبده: قلت لك أنا هادي جدًّا ... عملية منى دي كات مجرد زي ما تقول فتحت عيني ع الحقيقة ... واحنا نازلين ع الجبل وهي حاضناني كان عندي إحساس غريب بالوحشة ... نوع من الوحدة اللي بتولده الخيانة ... حسيت إن بيني وبينك لأول مرة سر كبير ... وادي فاتح بُقه وممكن يبلع الكون كله ... لأول مرة كان فيه حاجة ما قدرش أقول لك عليها ... ولأول مرة ان فيه واحدة ... منى ... اللي انت حبيتها وحبتك ... كانت مستعدة ترميك عشان تتجوز ... العلاقة اللي بينا ... إحنا التلاتة كات وصلت للنقطة الحرجة ... نقطة البداية والنهاية ... أو بداية النهاية ... وعشان كده لازم تموت يا فتحي!

فتحي (في رعب)**:** يا عبده كفاية الكلام ده ... خلينا نرجع للدوا.

عبده: إنت ليه موش عايز تواجه الموت بشجاعة؟

فتحي: موت إيه بس اللي بتتكلم عليه بالطريقة دي؟

(ينهض ويتأمل خارج المكتب وينظر إلى الأبواب.)

عبده: اقعد استريح ... أنا موش حاقتلك بسكينة ولا مسدس!
(يضحك) بالدوا!

فتحي (يضحك ضحكة صفراء ليُذهب عن نفسه الخوف)**:** موت معنوي؟! هاهاها!

عبده: لا ... وموت جسدي كمان ... اطمن ... الموت المعنوي أنا مته من زمان ... مته لما عشت سنين معاك ألعب دور الرفيق الذكي الشاطر وانا عارف إني في الحقيقة مجرد منفِّذ.

فتحي (يستجمع شجاعته ويقوم ليتحدث وهو يفحص مخارج المكتب بطرف عينه)**:** لا لا لا ... اسمح لي بقى ... إنت طول عمرك بارع وعبقري، وانا دايمًا ... طول عمري ... معجب بذكائك ومهارتك، طول عمرك ... الناس عارفة وتشهد ... طول عمرك ... وانا (يجف حلقه).

(يسيطر عليه الرعب إلى درجة تحشرج صوته واختناقه وعدم وضوح الكلمات.)

أنا دايمًا ... باتغنَّى ... بأمجادك!

عبده: خلصت الخطبة؟

فتحي: خطبة إيه؟ (ينهار تمامًا) أنا ... باتكلم ... جد!

عبده: موش عيب إن الإنسان يكون ضعيف ... موش عيب إنه ما يكونش عبقري العيب إنه يخبي ضعفه بضعف أكبر ... يعني يحتمي بواحد قوي.

فتحي: قصدك ... أنا؟

عبده: أنا عشت في الضعف ده سنين وسنين ... عايز أصدق اني على شيء وموش قادر ... لإنك انت كنت على شيء أكبر ... ويوم ما خطبت منى ... قررت إني أنهي الخداع ده.

فتحي (عاد إليه بعض الاطمئنان نتيجة لتغيُّر أنغام كلمات عبده)**:** دا كان من زمان يا عبده ... من زمان قوي ... (يضطر نفسه إلى الضحك) كنا عيال بقى و... وكبرنا!

عبده (مستمرًّا دون التفات إليه)**:** بعدتك عن طريقي بكل وسيلة ممكنة ... عطيتك البعثة.

فتحي: أنا ما قدرش أنكر.

عبده: ولما رجعت كافحت عشان أبعدك تاني ... ودِّيتك برَّه (ثائرًا) انت ليه موش عايز تفهم ... كان لازم أقف لوحدي ... كان لازم أثبت اني أقدر أعمل حاجة ... (صارخًا) لوحدي! (في هدوء) ولو حاجة صغيرة!

فتحي: واديك نجحت ... تركيبة الدوا نجحت ... موش كده؟
عبده (في تشفٍّ)**:** غصب عنك!
فتحي: الحمد لله ... مبروك ... ألف مبروك!

(يضحك محاولًا إزالة التوتر والعودة إلى الحالة الطبيعية.)

موش توريني التركيبة بقى؟ خلينا نتكلم في المفيد أمال ... يلَّا يا عبده خلينا نفرح!
عبده: سهرت ليالي ... دبحت نفسي ... كنت باكلم نفسي في الشارع لحد ما وصلت للدوا الجديد.
فتحي: أهو كده الكلام ... مش تقول لي موت ... وحياة (يضحك).
عبده (شاردًا)**:** موت إيه؟
فتحي: يعني! (في ذُعر) أقول لك الحق انت خوفتني فعلًا!
عبده: آ... موتك انت يعني؟!
فتحي: كان هزار ... (يضحك) هزار تقيل!
عبده: لا أبدًا.
فتحي: أبدًا إزاي؟!
عبده: انت موش شربت اللمون؟
فتحي (كأنما لدغه عقرب)**:** اللمون اللي منى ... يا نهار مش فايت!
عبده: مفعوله ياخد ساعة!
فتحي: وانا أقول طعمه غريب ليه؟!
عبده: المهم اني دلوقت أقدر أوريك التركيبة.
فتحي: يا عبده (في شبه بكاء) ما فيش حاجة مضادة؟ ما عندكش حاجة ...؟
عبده: خلاص ... لازم أعترف لك ... العذاب بتاعي يا فتحي يا صاحبي كان لازم ينتهي، كان لازم أتخلص من وجود فتحي اللي كان راكبني زي العفريت، رحت البعثة وبرضه كنت معاي ... رحت بلاد بره وبرضه وراي وقدامي وفي كل مكان ... وحتى في التركيبة دي! (ينهار) ما حدش سامعنا ولازم اعترف لك ... التركيبة دي ... هي اللي انت عملتها بالضبط!

(صمت.)

فتحي (في ذهول)**:** مش فاهم!

عبده (في انهيار): انت بتواجه إنسان مهزوم ... إنسان ما قدرش ينجح بعد الكفاح ... بعد الجحيم اللي عاشه سنين وسنين ... ما قدرش يعمل تركيبة واحدة جديدة ... وحتى التركيبة اللي عملها وخرج بيها ع الدنيا طلعت تركيبة صاحبه.

فتحي (في ذهول): ما عدتش فاهم حاجة أبدًا.

عبده: وعشان كده لازم تبعد من طريقي ... تخرج من حياتي ... لازم الناس تقول دوا عبده ... وتركيبة عبده ... موش تنفيذ ولا بيع ولا توزيع عبده! فاهم؟ (في إصرار) يعني أنا باسرق تركيبتك ... وبادَّعي إن أنا غيرتها ... إن انا أضفت لها عنصر الزمن! (يضحك) وما فيش حد في الدنيا يعرف الحقيقة غيرنا ... وبعد ... (ينظر في ساعته) ١٥ دقيقة ... ما حدش حيكون عارف الحقيقة ... إلا انا بس!

فتحي (في ذهول وقد بدأت علامات الألم تظهر على وجهه): موش ممكن، موش ممكن ... دا كابوس مخيف!

عبده: كان كابوس مخيف ... وما عادش ... ما عادش ممكن يرجع تاني بعد النهارده ... كان لازم تخرج من حياتي ... ومن حياة منى ... من حياتنا احنا الاتنين.

فتحي (الألم يزداد والكلمات تخرج بصعوبة): أنا مظلوم في منى.

عبده: الموضوع ما عادش فيه ظالم ولا مظلوم ... تعرف يا فتحي إن انا ومنى ما نقدرش نتكلم على حد غيرك؟! تعرف انها لما بتحلم بتنادي على فتحي؟ تعرف إني لما بابوسها بتدور من غير ما تشعر عالحسنة اللي في رقبتك انت؟!

فتحي: موش معقول ... موش معقول!

عبده: طبعًا موش معقول! وعلشان كده لازم ينتهي.

(يقدم إليه ورقة) آدي التركيبة الجديدة ... فاكرها؟! هي اللي حضَّرتها لي قبل ما تسافر بيومين وقلت لي موش حتنفع ... (يضحك) أهي نفعت! اتفضل ... اتفرج.

فتحي (يمسك الورقة بأيدٍ مرتعشة، يقرأ، يطوي الورقة ويتجه إلى عبده في ذهول ثم يضحك ضحكة صفراء هستيرية قبل أن يتحدث): هي دي التركيبة اللي قتلتني عشانها؟

عبده: انت عارف انتصاري حجمه إيه؟ جربتها بنجاح على الفيران والكلاب ... ونجحت على كل كائن حي ... (في همس) وجربتها على ناس ما يعرفوش السر ... ونجحت!

فتحي: الله يرحمهم!

عبده: بالعكس ... دول أصحاء وزي البمب!

فتحي: ثلاثة أشهر!

عبده: إنت بتخرف تقول إيه؟

فتحي: اسمعني يا عبده لحظة! (في حماس يخالطه الألم) أنا بقى لي سنين باشتغل ع التركيبة دي نفسها ... يمكن توارد خواطر ... ويمكن لأننا بنفكر زي بعض (في ألم شديد) أنا حاموت بعد دقايق ... لكن لازم أقول لك آخِر أبحاثي في الموضوع ده ... التركيبة دي قاتلة ولا يمكن تشفي حد أبدًا.

عبده: أنا جربتها بقول لك ... جربتها بنجاح!

فتحي: بس احنا مش فيران ولا قطط.

عبده: والناس؟!

فتحي: حيموتوا بعد ثلاثة أشهر.

عبده: مستحيل!

فتحي: عنصر الزمن اللي بتحكي عنه عكسي ... يعني التركيبة تشفي في لحظة وتقتل على مهلها ... السم اللي فيها ما بيتكونش إلا بعنصر الزمن ... (صارخًا) ليه ما كتبتليش عنها؟! ليه ما قلتليش يا عبده؟!

عبده: إنت مجنون!

فتحي: اقرأ العدد ٣٢ من المجلة الطبية العربية! (منهارًا) أنا برضه قتلت ناس بيه ... ويمكن حاخد جزائي النهارده! (في دفء العاطفة) أنا موش عايز أسيب لك شبح يا عبده ... أرجوك ... اقرأ المقال بتاعي في المجلة الطبية وعيد النظر ... انت اتسرعت ... اتسرعت قوي ... (يعتصره الألم) مين يقدر يعرف معنى حياته ومماته؟! مين يقدر يعرف معنى حبه وكراهيته ... (في ألم شديد) كل ده من الحب ولَّا ...؟

عبده (ينقض عليه ويحتضنه ويُقبِّله بعنف)**:** من الحب، الحب ... موش ممكن يكون غير حب!

فتحي: عبده ... يا أعز صديق لي.

عبده: فتحي ... يا أحب إنسان ... يا أجمل إنسان!

(يتعانقان، تدخل منى فجأةً.)

منى: أنا خلصت مواعيدي وجيت، موش مفاجأة حلوة؟! شوف يا فتحي انت لازم تتغدي معانا النهارده.

فتحي (يتمالك نفسه)**:** طبعًا طبعًا.

منى: لازم تمسك فيه يا عبده ... اوعى تخليه يهرب زي عوايده!

عبده (مردِّدًا في وجوم)**:** موش ممكن يهرب.

منى: قد إيه كنت باحلم باللحظة دي ... كلنا سوا من جديد ... حنخرج بعد الغدا طبعًا نروح المقطم ... موش كده يا عبده؟ وعارف ... عاملة لكم حتة مفاجأة لا يمكن تتصورها ... موش حاقولكم عليها طبعًا! أمال هي مفاجأة ليه؟ وبعد العصر حنمشي في الجبل لوحدنا ... احنا التلاتة ... تمام زي سويسرا ... إحنا التلاتة ... نمسك إيدينا في إيدين بعض ... وننزل الوادي الغويط ... (تضحك) وادي الموت! أما حتة اسم! حقهم يسموه وادي الحياة! إيه رأيك يا فتحي؟

(صمت، يبدو فتحي كمَن أغفى واستغرق في نوم عميق، ينظر إليه وإليها وتنحدر الدموع على خدَّيه.)

خلاص ... (تهمس لعبده) موش حنخليه يسافر المرة دي ... ما فيش قوة في الأرض تقدر تفرقنا عن بعض بعد النهارده!

(ستار سريع.)

البحيرة

المنظر: منزل مصري مرتَّب ونظيف، الصالة تشغل وسط المسرح وحوله أبواب وقطاعات من غرف النوم والشرفة والمطبخ، خزانة كُتب في الخلفية ودولاب مغلق. إلى أقصى اليمين باب يؤدي إلى الشارع.
الوقت: صباح يوم من أيام الصيف.
الشخصيات:

حنفي.

هناء.

فوزي.

(عندما تُرفع الستار يدخل حنفي من أقصى اليسار خارجًا من غرفة النوم ويصفِّر لحنًا جادًّا. منظره سعيد رغم ملامحه الجادة. سمين وفي الأربعين تقريبًا. يتجول بعينَيه في الشقة ويتقدم من الأنتريه فيزيل ما يتصور أنه تراب من مسند الأريكة. يدخل إلى المطبخ ويخرج حاملًا صينية عليها طقم شاي وكوب واحد يضعها على مائدة في الوسط. يُحضر قلمًا وورقة ويبدأ الحديث.)

حنفي: مش بطَّال ... كل حاجة رجعت زي ما كانت ... كانوا فاكرينِّي كروديا (يتمطَّى) لكن أهُم خدوا درس مش حينسوه! عشان ما حدش ييجي تاني ويلخبط لي مشروعاتي.

(يرن جرس تليفون مكتوم فيهرع إلى الدولاب فيفتحه ويُخرج التليفون ويبدأ الحديث.)

ألوه ... أهلًا ... إزيك يا فوزي؟ لا ... نقدر نتكلم بحرية ... آ... مشيوا كلهم أصلك مش واخد بالك ... دول ناس من اياهم ... قرايبي صحيح لكن م النوع اللي دايمًا أحكيلك عنه ... أيوه أيوه ... تصدق إن من ساعة ما مشيوا وانا عمَّال أفكر في رواية جديدة! عنهم طبعًا ... مجموعة من الناس ما فيش حاجة في حياتهم إلا الفلوس والجواز والعيال والـ... إيه؟ أبدًا ... ميراث إيه؟! دا كلهم فدانين موزعين على ييجي خمسين نفر ... ودا اللي خلاني أتنازل لهم عن نصيبي واطرَّأهم ... آه تمام ... كان لازم استعمل الحزم ... طبعًا ... عارف لو طاوعتهم كان زماني النهارده في مصر أو زمانهم معاي هنا ... وساعتها يا صاحبي بقى ... خلاص! أبقى انتهيت ... طبعًا ... ما أنا فاهمهم ... أول ما ارضى أتحرك من بيتي وأسايرهم ألاقي نفسي رسيت من غير ما أشعر على شط بحيرة اليأس ... (يضحك) أتجوز وأخلف وأحوِّش عشان أربِّي العيال وأقلق عليهم وانت عارف الباقي ... لأ لأ ما تخافش عليَّ. أصل مش ممكن يدمر الإنسان إلا المرأة ... إيه؟ آه ... هي اللي اخترعت بحيرة اليأس ... تغري الرجل وتجذبه وتصور له حياة زي الجنة وبعدين يلاقي نفسه عبد لها ... عبد بقولك ... عايش في خيمة جميلة على شط البحيرة وحواليه آلاف العيال والـ... لأ لأ ... والله مش مبالغة ... (يضحك) لسه ... باقول لك لسه ما شربتش الشاي! طيب بس ادِّيني فرصة ... ساعة كده؟ ولَّا اسمع ... ما تيجي انت ... آ... دلوقت ... أصل مش معقول نناقش الموضوع ع التليفون ... وهو كذلك ... منتظرك ... باي باي.

(يضع السماعة ويعيد التليفون إلى مكانه، يعود إلى المنضدة.)

طب وليه ما ادخلش التجربة الأخيرة دي في الكتاب اللي في إيدي ده، يعني ممكن ... ممكن أخليها فصل مستقل ... أخلق شخصية راجل مؤمن برسالة معيَّنة صمم على مقاطعة الجنس الآخَر ... وأبيِّن الأسباب والدوافع ... واكتب عن الهنا والسعادة اللي عايش فيها وعمله المنتظم وذكائه، إلى آخره ... واركز على الهدف اللي رسمه لحياته ... ولازم يكون طبعًا هدف عظيم ... يعني مش ضروري يكون مدرس زيي ولا حاجة ... ممكن أخليه ناظر ... (يضحك) الناظر يمكن يزعل ... (جادًّا) بالعكس ممكن يفرح بتمجيد صورته في الكتاب ... وفي الحالة دي يبقى الهدف خدمة البشرية جمعاء عن طريق التعليم ... وفي وسط العملية دي أطلَّع له واحدة من تحت الأرض تلخبط له حياته ... تقلبها رأسًا على عقب ... واحدة هدفها تودِّيه البحيرة ... بس ... هو كده ... وهنا بقى ... يبدأ الصراع.

(يجلس ويمسك الورقة ويبدأ في التخطيط السريع.)

ويمكن أخليها قصة منفصلة ... طب النقط الأساسية قبل ما تطير من دماغي.

(يكتب ثم يجري إلى المطبخ فيحضر إبريق الشاي الذي يغلي ويصب الشاي ويضع فيه السكر.)

آه ... الصراع! بين هناء الزواج اللي بتمثله المرأة وبين الحرية الحقيقية اللي ربنا عطاها لكل إنسان ... حرية الخلق والإبداع ... بين هناء ...

(يرفع كوب الشاي إلى فمه ولكنه ينزعج كأنما لسعه عقرب ويضعه ثانيًا.)

إيه ده؟ أحمر شفايف؟ مش معقول! (يتأمل الكوب جيدًا) أحمر شفايف ما فيهاش كلام ... لكن دانا غاسل الكبايات وماسحهم ومنشفهم بنفسي! (ينظر إلى الكوب ثانيًا بتفحُّص) وخاصة الكوباية دي! البيت فيه عفاريت!

(يجلس منهارًا على الكرسي ويضع رأسه بين يدَيه ويحاول أن يلم شتات نفسه.)

أحاول أفتكر من تاني ... إيه يا حنفي اللي حصل امبارح بالضبط؟ جم الجماعة واتغدوا ... قالوا إنهم وصلوا من مصر تعبانين وعايزين يستريحوا ... خليتهم يستريحوا هنا في الصالة وما يهوبوش ناحية أود البيت التانية ... صح! ما هم كانوا عايزين يشمشموا هنا وهناك ... عايزين يعرفوا بالضبط أنا عايش إزاي وباعمل إيه! ناس حشريين ... وبعدين؟! آه ... وبعدين شربوا الشاي وعلى الساعة تمانية كانوا في المحطة واتوكلوا جميعًا ... والحمد لله ... ما حدش جه ناحية البيت من ساعتها، والنهارده الجمعة أجازة حاخصصه للكتابة. (يسمع أصواتًا غريبة من غرفة النوم.)
إيه ده؟ إيه الصوت ده؟ دا مش عفريت ... دا حرامي!

(يلتقط سكين فتح خطابات ويتلصص ويسترق الخُطى بجوار الحائط عندما يفتح باب غرفة النوم وتدخل هناء — في الأربعين — في قميص نوم.)

(يشهق شهقة كبيرة لمرآها.)

هناء: صباح الخير! (تتثاءب.)

(حنفي يظل مبهوتًا وفاتحًا فاه دون حركة.)

هناء (تتجول في الصالة بحُرية مزعجة): صباح الخير يا حنفي باقول ... (تحاول أن تتمطَّى كأنما لتنفض عن نفسها كسل النوم) الواحدة عضمها اتكسر م الخشب.

حنفي (مستردًّا أنفاسه): ممكن أعرف حضرتك مين؟

هناء (تضحك): ما انتش عارفني صحيح؟

حنفي (متردِّدًا): الوش مش غريب عليَّ.

هناء: يا خبر يا حنفي! معقول تنسى أختك؟

حنفي (صارخًا): أختي؟

هناء (ضاحكة): أختك في الرضاعة!

حنفي: أنا ما ليش اخوات لا في الرضاعة ولا في أي حاجة.

(محاولًا اتخاذ موقف بالغ الحزم) انتي مين بالضبط ... وإيه الى جابك هنا وعايزة إيه مني؟ انطقي! اتكلمي وإلَّا ...

هناء: وإلَّا طلبت البوليس؟ اتفضل اطلبه ... حتلاقي التليفون مقفول عليه في دولاب الكتب!

حنفي: كدهه؟

هناء: انت غيرت مطرحه؟

حنفي: يعني بتتحديني حضرتك؟

هناء: أنا بحاول أساعدك؟

حنفي: تساعديني على إيه؟ أنا كل اللي عايز أعرفه انتي مين وإيه اللي جابك هنا؟!

هناء: ما قلتلك!

حنفي: وأنا قلتلك ما ليش اخوات بنات!

هناء: يعني مُصِر انك تتحدى؟

حنفي: أنا عايز اعرف انتي مين! (تتحول اللهجة إلى لِين) وأظن دا من حقي يعني.

هناء (تعجبها اللهجة الجديدة): كلام معقول.

حنفي: اتفضلي!

هناء: عايز تعرف اسمي؟

حنفي: إذا كان ممكن ... لو سمحتي!

هناء: اسمي هناء.

حنفي: هناء؟

هناء: اللي حصل!

حنفي: وبتقولي إنك أختي؟

هناء: مش مهمة دي.

حنفي: لا ... مش مهمة ازاي؟ دي أهم حاجة ... لازم أعرف ... أنا راجل ليَّا سُمعتي ومركزي وإذا كنتي أختي صحيح يبقى لازم أعرف!

هناء: بس عشان السمعة والمركز؟

حنفي: وكمان لازم أعرف إزاي حضرتك ... سعادتك ... سيادتك ... دخلتي بيتي وطلعتي م الأودة دي!

هناء: حاضر ... مدام مصمم ... المسألة بسيطة ... أنا قريبتك من بعيد ... تفاصيل القرابة مزعجة وحتاخد وقت واحنا ما عندناش وقت.

حنفي (محاولًا الاعتراض): بس انا ...

هناء (في لهجة حازمة): أقدر أثبت لك كل حاجة بعدين ... المهم دلوقت أريح بالك من ناحية علاقتنا ... لما الله يرحمه رامز بك اتوفى بعتت لي أختي تلغراف عشان أحضر عملية توزيع الميراث ... (ضاحكة) وانت عارف اللي فيها بقى.

حنفي (في شك): والله مش قوي يا ست هناء!

هناء (برقة): تؤ تؤ تؤ ... بلاش ست هناء أرجوك، حاول كده تناديني هناء ... هناء حاف ... (مستمرة) لَّما رامز بك اتوفى حضرت التوزيع وتنازلت لهم عن نصيبي، وبعدين اتفقت معاهم على إننا نيجي كلنا نزورك ونقعد يومين معاك ... (مغيرة لهجتها) ما رضيتش أقول لهم طبعًا إن انا قررت أقعد هنا على طول وانِّي درست أحوالك وعرفت كل حاجة عنك من يوم ما سبت مصر!

حنفي (بسخرية): حضرتك ... سيادتك قررتي تقعدي فين بالضبط على طول؟

هناء: هنا، معاك.

حنفي: في البلد الصغيرة دي؟! وحتلاقي شقة منين؟

هناء: ألاقي شقة يعني إيه؟ وهي الشقة دي عيبها إيه؟

حنفي: شقتي أنا؟ دي؟

هناء: مش بطالة أبدًا ... بحري وغربي، بعيدة شوية عن الـ...

حنفي (مقاطعًا بحدة): بحري إيه وغربي إيه؟ عايزة تسكني معاي هنا إزاي؟

هناء: مش دلوقت ... ما تخافش ... لَّما نتجوز.

حنفي (مصعوقًا): لَّا إيه؟

هناء (تضحك): ممكن تهدِّي أعصابك شوية؟! ممكن نقعد سوا ونشرب الشاي في هدوء؟!

حنفي (منفجرًا): أجيب الهدوء منين؟ والله عال! (يضرب كفًّا بكف) واحدة تطب على غفلة وتقول قريبتك وبعدين عايزة أجَّوزك وعايزاني أشرب الشاي في هدوء!

هناء: أنا قلت عايزة أجَّوزك؟

حنفي: لأ أنا!

هناء: أنا قلت لما نتجوز!

حنفي (ساخرًا): آه ... قولي كده!

هناء: في الحقيقة بقى كان لازم أقول لما انت تتجوزني!

حنفي (ساخرًا): طبعًا طبعًا ... الفرق كبير خالص!

هناء: الفرق مش كبير ما دام بنحب بعض. (في رقة) أرجوك افهمني يا حنفي ... بلاش نظرات الاستغراب دي ... دلوقت تعرف قد إيه أنا بحبك لما تسمع حكايتي ... وحتعرف قد إيه انت بتحبني لما تسمَّعني حكايتك.

حنفي: كلام جميل، ممكن بقى ...

(طرق شديد على الباب.)

(يبدو على حنفي الاضطراب الشديد ولكن هناء تشير إلى المطبخ بثقة.)

هناء: طلع له القزايز يا حنفي.

حنفي (مرتبكًا): القزايز؟! قزايز إيه؟

هناء: قزايز الكوكا كولا طبعًا ... أهُم قدامك ورا الباب.

حنفي (في ذهول): مين؟ فين؟

هناء: مش سامعني؟! دا عم عبده البواب ... إنت نسيت؟ النهارده الجمعة!

حنفي (يفيق قليلًا): آ... صحيح ... طيب ممكن انتي ...

(يشير إليها أن تختبئ.)

هناء: ما تخافش ... مش حيشوفني! (تدخل غرفة النوم.)

(يُخرج حنفي الزجاجات ويعود.)

حنفي: الله! هي راحت فين؟ هناء ... هناء!

(تخرج وقد ارتدت ثوبًا أكثر حشمة.)

انتي رحتي فين؟ آ... خارجة؟

هناء (تضحك)**:** خارجة إيه؟ كنت بغيَّر بس ... مش معقول فوزي يشوفني بقميص النوم!

حنفي: وايه اللي يخليه يشوفك؟

هناء: هو مش فوزي جاي دلوقت؟!

حنفي: وعايزاه يشوفك ليه؟

هناء: اسمع يا حنفي ... فيه حاجات كتير لازم نتفق عليها، أولًا لازم نغير السرير الصغير اللي في أودة النوم ده ... أنا ضهري كان حينكسر من خشب الأرضية.

(تلمح بوادر ثورة عليه فتحاول تهدئته.)

خليك معاي لحظة، طبعًا مش معقول عايزني أنام ع الأرض ... ومش ممكن انت ترضى تنام ع الأرض وتسيب لي السرير ... يعني بجد ليلة امبارح كات ليلة يعلم بيها ربنا!

حنفي: قصدك ... تقولي ... إنك ... كنتي ... بايتة ... في نفس الأودة معاي ليلة امبارح؟

هناء: والله إن ما كنتش مصدق ...

حنفي: والله أنا ما شفتكيش ولا حسيت بيكي ولا ...

هناء: حتشوفني إزاي وانت أول ما دخلت غطيت نفسك باللحاف من فوق لتحت ... ورحت غاطس في النوم؟!

حنفي: يا نهار اسود ومهبب!

هناء: اسود ليه كفى الله الشر؟ دي حاجة طبيعية جدًّا.

حنفي: انتي بتتكلمي جد؟ عايزة تقولي إنك كنتي نايمة فعلًا معاي وماحسيتش بيكي؟!

هناء: تفتكر إن ده ذنبي؟!

حنفي: احنا في ذنبي وذنبك؟ مستحيل اللي بتقوليه ده!

هناء: ده أولًا، ثانيًا بقى احنا ما عندناش وقت ولازم ننتهي من كل التفاصيل قبل ما يوصل فوزي.

حنفي (مغيِّرًا لهجته كمَن اعتزم أمرًا جادًّا)**:** اسمعي يا هناء، إذا كنتي عايزة فلوس أنا تحت أمرك، أي حاجة ... عايزة كام؟

هناء (تضحك)**:** أنا ... عايزة فلوس؟! أهي دي نُكتة الموسم!

حنفي: أنا بتكلم جد!

هناء: مش ممكن، مستحيل تكون اتغيرت للدرجة دي!

حنفي: عايزة قد إيه؟

هناء: يا حنفي أنا بحبك!

حنفي: مفهوم ... مفهوم!

هناء: وعايزة أتجوزك، وعندي فلوس تكفينا طول العمر، فلوس أكتر من كل اللي مَر عليك في البنك، ومن كل اللي حلمت بيه في البنك.

حنفي: آ... قولي كده ... عايزة تشتريني بالفلوس! هو ده السبب في لهجة الثقة الغريبة اللي بتتكلمي بيها ... لهجة التحدي والوقاحة!

هناء (صارخةً)**:** أنا ما اسمحلكش!

حنفي (صارخًا)**:** أمال تسميها إيه؟ لا يا فندم أنا ما ابعشي نفسي بالفلوس، وعمري ما بعت نفسي بالفلوس، يمكن تكوني عارفة أصدقائي ويمكن كمان تفاصيل حياتي، لكن أؤكد لك إن فيه حاجات كتير ما تعرفيهاش عني ومش ممكن تعرفيها، أنا يا هانم سبت حياة حافلة في مصر، حياة كان ممكن أتمرَّغ فيها في الفلوس وفضَّلت أعيش هنا من أجل رسالة سامية ... من أجل هدف عظيم!

هناء: بحيرة اليأس؟

حنفي: هربًا من بحيرة اليأس! أنا ما اعرفش عنك حاجة، وموش عايز أعرف حاجة ... كفاية انك امرأة، ويبدو إن معاكي فلوس كمان، يعني الشر بعينه ... الشيطان اللي انا هربت منه ... (مغيِّرًا لهجته إلى سخرية) كلامك عن الحب كان ممكن يهزني لو كنت صغير أو مغمض، والحقيقة برضه إنك جميلة وجذابة وعندك جرأة طول عمري باحلم بيها، لكن ... فات الأوان يا هانم، أنا كبرت واتعلمت، وموش ممكن أرجع للضعف بتاع زمان.

هناء (تصفق له)**:** برافو ... برافو!

حنفي: اتريقي على كيفك، بس تأكدي إن اللي هربت منه موش ممكن أرجع له!

هناء: لسه بتحبها يا حنفي ... (في ألم حقيقي) يا حبيبي؟

حنفي: بحبها؟

هناء (في رقة)**:** تعالى جنبي!

حنفي: بحب مين؟!

هناء: سناء!

حنفي: انتي ... انتي ... بتقولي إيه؟

هناء: أهي دي الوحيدة اللي كان ممكن تفرقنا.

حنفي: انتي بتقولي ألغاز!

هناء: أنا عارفة بقول إيه، وانت عارف أنا باقول إيه، اللي انت ما تعرفوش بقى هو إن أنا عشت معاك قصتك، وقصة هروبك، وقصة رسوك على شط البحيرة!

حنفي: أنا هربت من البحيرة.

هناء: ورسيت عليها! اللي انت تصورته قارب نجاة ... قارب يوصل للشط التاني، كان في الحقيقة قارب انتحار ... قارب متثبت ع الشط ... مربوط بحبل متين رغم وجوده في المية ... لما تحس إنه بيتهز اوعى تتصور إنه بيتحرك! دا بيعلى ويوطى بس مع موج الشط.

حنفي: مش فاهم حاجة أبدًا!

هناء: ما فيش داعي للخداع أكتر من كده!

حنفي: صدقيني أنا مش باخدعك.

هناء: عارفة إنك مش بتخدعني، انت خدعت نفسك سنين وسنين لحد ما صدقت الخدعة!

حنفي: أنا عمري ما خدعت نفسي!

هناء (تضحك)**:** ممكن يا حبيبي تشرب الشاي بقى؟

حنفي: مش عايز شاي ولا زفت!

هناء: يمكن أعصابك مش حتهدى إلَّا إذا طمنتك وقلت لك أنا ماشية، أنا حامشي، وموش حارجع أبدًا!

حنفي (مترددًا)**:** ما اقصدش يا هناء!

هناء: معلهش، دا رد فعل طبيعي.

حنفي (قابضًا على كوب الشاي)**:** أنا قصدي ...

هناء: لكن قبل ما امشي لازم أقول لك ليه أنا حبيتك وحافضل أحبك على طول!

(صمت.)

لَّا حنفي عبد الباسط كان طفل صغير ... كانت عنده أحلام جميلة ... حياته في الواقع كانت حلم طويل ... بالليل كان بيحلم أحلامنا العادية وبالنهار كان يحلم وهو ماشي ... وهو في المدرسة ... وهو راجع م المدرسة ... التلامذة كلهم يرجعوا البيت الساعة أربعة وهو يرجع ... عارف الساعة كام؟!

حنفي (يلين قليلًا): أصل السكة كانت طويلة!

هناء: لأ، سكته هو بس! كان ياخد السكة الزراعية رايح جاي لحد الشمس ما تغيب وبعدين يروَّح ... ولما كبر ودخل الجامعة ما كانش يقدر ينام قبل الفجر ... القراية بالنسبة له كانت تأليف ... كل كلمة يقراها كانت عالم كبير ... عالم بيشترك هو في خلقه.

حنفي: كلية التجارة كُتبها كبيرة.

هناء: برضه لأ! ما كانش يسهر يقرا الكتب المقررة، كان بيقرا أي حاجة إلا المقرر.

حنفي: وكان بينجح برضه؟

هناء: كان بينجح، ما اعرفش إزاي! المهم إن الحلم الطويل ده بقى أكبر منه، وكان لازم يتقل عليه.

حنفي: يتقل عليه إزاي؟

هناء (تضحك): ما اعرفش!

حنفي: أنا عارف عايزة تقولي إيه بالضبط، كلنا لنا أحلام وكلنا بنِصِّدِم بالواقع.

هناء: لكن هو بقى ما قدرش يشوف الواقع أبدًا، أنا حاسألك سؤال بسيط جدًّا، تقدر تقول لي فين سناء دلوقت؟

حنفي: ما اعرفش!

هناء: لأ تعرف.

حنفي: قلتلك ما اعرفش، أرجوكي يا هناء، صدقيني بقى!

هناء: انت موش ملاحظ اني شبه سناء؟

حنفي: إطلاقًا!

هناء (بدلال): بذمتك!

حنفي (يتأملها جيدًا): ما فيش أي شبه!

هناء (بدلال): طب وعشان خاطري؟

حنفي: يمكن في الطول والـ... القوام يعني، لكن الوش لا لا لأ.

هناء: طب وإذا قلتلك إني سناء؟

حنفي (صارخًا): أنا عارف انتي عايزة إيه! عايزة تدمري السعادة اللي أنا عايش فيها ... عايزة تنتقمي من قصة حب قديمة راحت وطواها الزمن!

هناء: حلوة طواها الزمن!

حنفي: أيوه طواها الزمن، خلصت ... خلاص!

هناء: يعني خرجت من حياتك للأبد؟!

حنفي: للأبد ... وأبد الآبدين كمان ... خلاص!

(يدور حول نفسه مُفكِّرًا.)

انتي إيه اللي عرَّفك الكلام ده؟! انتي شخصية في منتهى الغرابة! بقى كنتي عايزاني لسه أفضل عايش قصة حب بقى لها سنين وسنين؟! وبعدين حب إيه ده اللي كان بينا؟! دي كانت عايزاني أرسى على شط البحيرة ... ما كاتشي بتحبني قد ما كانت عايزة تتجوزني!

هناء: وجواباتها؟

حنفي: آ... (متلعثمًا) آ... جواباتها كانت جميلة، جواباتنا احنا الاتنين في الحقيقة.

هناء: جواباتك انت كانت حزينة ... كانت بترسم صورة غريبة لواحدة مالهاش وجود ... واحدة إنت رسمتها وألِّفتها وقررت انها لازم تخرج من حياتك.

حنفي: موش أنا اللي قررت.

هناء: المشكلة يا حنفي انك عمرك ما كنت بترد على جواباتها بالمعنى المفهوم ... كنت في كل جواب تقول كلام جميل ما يوصَّلش إلا لنتيجة واحدة ... لنهاية حزينة ... كان كلام جميل لكن جماله في حزنه ... في شاعريته ... في عدم ارتباطه بالواقع! وعدم ارتباطه بأي عاطفة ... يا خسارة! ضاعت سناء وضاع معاها الحب!

حنفي: كان حب جميل!

هناء: بالنسبة لك طبعًا كان جميل، وجماله إنه كان لازم ينتهي لإنك قررت من الأول إنه ينتهي، وعشان كده أصريت انك تعمل علاقة مع سناء خيالية مرتبطة بحلم مستحيل!

حنفي: سناء كانت نفسها مستحيلة!

هناء: بالعكس، سناء كانت بنت عادية جدًّا، زيي كده!

حنفي (يضحك): إلا زيك دي ... انتي طلعتيلي منين؟!

هناء: حبها كان جريء وقوي، لو كنت قبلته ... لو كنت واجهته على الأقل ... يمكن كنت قدرت تبعد عن شط اليأس، شط الاستقرار اللي انت عايش فيه هنا ... تتفاخر

بالعزلة وأحلامك الخدَّاعة ... يعني باختصار الشاب اللي كان بيقرا وغاوي تجارة، اللي كان عايز يعمل مصنع خوص ... مصنع برانيط يشغل فيه البنات بقرش للبرنيطة وقرشين للسَّبَت ... اللي عايز يبيَّض الخوص بالكلور ... نفس الشاب ده خَلق واحدة مالهاش وجود اسمها سناء ... وقرر بينه وبين نفسه إنه يحبها حب يائس ... زي حلمه اليائس!

حنفي (يصفق)**:** برافو! خلصتي خطبتك؟

هناء (في حزن)**:** خلاص ... سلامو عليكم!

حنفي: على فين؟

هناء: أروح مطرح ما جيت ... يا خسارة! كان عندي أمل ... أمل صغير انك تشوف الحقيقة، وتعرف إن كل شيء انتهى من يوم ما سبت البنك ... من يوم ما قررت تستقيل وتهرب وتشتغل بالتدريس ... باي باي!

حنفي (منزعجًا)**:** انتي رايحة فين؟! استني!

هناء: ما فيش فايدة يا حنفي.

حنفي: أنا عندي أهداف تانية ... اقعدي بس وانا أحكي لك ... أنا ما عدتش باحلم بمصنع خوص ولا حاجة، اسمعي بس ... أنا بقيت أديب!

هناء (تضحك)**:** بجد؟! ده أجمل خبر سمعته في حياتي، بس يعني موش لازم الأديب يكتب؟!

حنفي: طبعًا، ما انا ...

هناء: ما انت إيه؟ من امتى كنت كاتب ولا تعرف تكتب؟ من إمتى احترفت الأدب؟ انت بقالك سنين عايش في البلد دي وبتحلم ... بتحلم بأي حاجة، موضوع الحلم بيتغير لكن الحلم واحد ... تمام زي حلم أيام الدراسة ... وحلم أيام البنك ... الزمن بالنسبة لك بقى لعبة كبيرة ... الأيام بتمر يوم ورا يوم وانت قاعد تخطط وتحلم، وتخلق في شخصيات مالهاش وجود ... زي فوزي!

حنفي: فوزي مالوش وجود؟!

هناء (تضحك)**:** نفس الحكاية يا حنفي ... فوزي الحقيقي حاجة وفوزي اللي في خيالك حاجة تانية خالص!

حنفي: دلوقت ييجي وتشوفيه.

هناء (تضحك)**:** ييجي إمتى يا حنفي؟! إنت عارف كويس قوي إن فوزي مش جاي!

حنفي: إزاي بقى؟

هناء: فوزي اللي حييجي بعد ... (تنظر إلى الساعة) بعد عشر دقايق كاتب بسيط في المدرسة، إنسان غلبان مالوش في الدنيا إلا الشغل والبيت.

حنفي: حرام عليكي يا هناء!

هناء: أما فوزي صديقك اللي انت خلقته فدا حاجة تانية خالص، راجل أديب وذوَّاقة ومؤلف كبير!

(يطرق الباب بشدة.)

حنفي: أهُه وصل!

هناء: دي الجرايد ... (تضحك) خدها من تحت الباب وانت ساكت!

(يسحب الصحف ويتأمل فيها.)

سيبها دلوقت ... أنا ما عنديش وقت ولازم أمشي!

حنفي: طب بس نكمل الحكاية!

هناء: حكاية إيه؟

حنفي: إنتي رايحة على فين؟

هناء: ودا يهمك في إيه؟!

حنفي: يعني مستعجلة ليه؟

هناء: يا حبيبي يا حنفي ... عايزني أقعد معاك شوية؟ مش خايف أم سميرة تشوفني ولَّا تسمعني؟

حنفي: أم سميرة دخلها إيه؟

هناء: دخلها إيه إزاي بقى؟ هي مش بتيجي بعد الصَّلَا؟

حنفي (محرجًا): النهارده ... أصله ...

هناء (تضحك): معلهش، ده ضعف بشري محتوم!

حنفي: خَلَقْتها دي كمان؟

هناء: لأ، انت يوم ماتخليت عن سناء ...

حنفي (صارخًا): يادي سناء ... هو ما فيش عندك غير سناء؟

هناء (في رقة): فيه ... فيه كتير.

حنفي: ولَّا أنا كلي ضعف وخيبة كده ... إزاي حبيتيني؟

هناء: أنا ما قولتش انت خيبة ... بالعكس!

حنفي: بعد كل ده ومش خيبة؟

هناء: فيه أخيب منك.

حنفي (ساخرًا)**:** بجد؟

هناء: أنا.

حنفي: انتي؟ دانتي أجرأ وأذكى واحدة شوفتها في حياتي!

هناء: شوفت بقى ازاي ... لازم تخلق من هناء اللي قدامك هناء تانية مالهاش وجود.

حنفي: أنا عمري ما حسيت في حياتي بالضعف اللي شعرت بيه النهارده.

هناء: بالضعف بتقول؟

حنفي: الضعف البشري اللي قررت ألغيه من حياتي إلى الأبد ... كلامك عن سناء مش صحيح.

هناء: حنفي!

حنفي: ومع ذلك فيه نغمة صدق ... نغمة عشت سنين عشان أسمعها ولازم أعترف انها هزيتني هز ... انتي بتقولي اني حبيت صورة سناء ... صورة خلقتها وتمسكت بيها ولَّما تعارضت مع الواقع ... (يضرب يدًا بيد) خلاص ... اللي انت ما تعرفيهوش بقى ... واللي أنا نفسي ما عرفتوش إلَّا دلوقت ... هو إني عمري ما حبيت سناء.

هناء: صورتها؟

حنفي: لا الأصل ولا الصورة ... أنا حبيت نفسي فيها ... حبيت الطاقة الكبيرة اللي اتهيألي إنها حتفجرها في أعماقي ... ولما هربت ... لما غيرت مجرى حياتي كلها ما كنتش بهرب من سناء ... ما كنتش باتخلَّى عنها زي ما انتي فاكرة، أنا كنت باهرب من الخدعة الكبيرة اللي عشت فيها سنين!

هناء: ودخلت في خدعة تانية ... مالهاش نهاية المرة دي!

حنفي: بالعكس.

هناء: قادر تشوف نهايتها.

حنفي: انتي مش قادرة تشوفيها؟

هناء: أنا شايفة ساحل ممتد وأمواج وقارب مربوط.

حنفي: مبقاش مربوط خلاص.

هناء: نزل بحيرة اليأس!

حنفي: بحيرة الأمل.

هناء: رجعنا للخداع.

حنفي: مش ممكن يبقى فيه خداع معاكي، انتي امرأة نادرة ... ممكن تكوني أختي في الرضاعة صحيح؟

هناء: ممكن؟

حنفي: ممكن ... لكن مش محتمل!

هناء: عشان فارق السن؟

حنفي: ما اقصدش!

هناء: عشان تقدر تتجوزني؟

حنفي (يضحك)**:** يا ريت!

هناء: وممكن أكون قريبتك من بعيد زي ما بقول؟

حنفي: وممكن ما تكونيش قريبتي خالص ... مش مهم ... مش مهم، مش مهم أبدًا. المهم إن انا لقيتك!

هناء: أنا اللي لقيتك.

حنفي: المهم إن الماضي الطويل بدأ يتزحزح زي الكابوس من على نفسي ... بدأت أحس اني اقدر أتنفس من جديد ... لأول مرة يا هناء باشوف ... وباشوف قدامي المرأة المثالية.

هناء: اللي قدرت تفهمك؟

حنفي: اللي فاهمة كل حاجة.

هناء: وانت فاهمها؟!

حنفي: طبعًا.

هناء: انت عارف أنا مين صحيح؟

حنفي: أنا بحبك يا هناء!

هناء: بتحبني أنا؟ ولَّا بتحب حنفي اللي انا صوَّرته؟!

حنفي: بحبك طبعًا؛ انتي ربنا بعتك عشان تنقذيني من بحيرة اليأس ... أنا حاسس اني لو اتجوزتك ... لو رضيتي تقفي جنبي وتحبيني زي ما بحبك حاقدر أحقق كل مشروعاتي ... حاقدر أنطلق وأوصل لآخِر آفاق البحر.

هناء: وتسيب البحيرة لمين؟!

حنفي: مش مهم بقى!

هناء: يعني عايز ترجع للبنك؟

حنفي (منزعجًا)**:** ليه؟

هناء: إنت مش بتقول ...؟

حنفي: أنا جبت سيرة البنك؟

هناء: انت مش عايز ...؟

حنفي: أنا عندي مشروعات خطيرة ... غير مشروع الخوص والبرانيط ... أنا عندي مشروعات تانية خالص.

هناء: غريب الإنسان وغريب ذهن الإنسان ... يبقى شايف الحقيقة ... شايف الواقع وحاسس بيه ومصمم انه يتجاهل وجوده.

(صمت.)

آدي احنا أهُه ... شايفني قدامك ... واحدة بتقول لك يا حبيبي وبتذكر أحلام الماضي وبتبص للمستقبل ... واحدة مُصِرَّة انها تقف جنبك وتتمنى تعيش معاك وتحبك ... ومع ذلك لا يمكن تحاول تعرف أي شيء عنها ... وتصر على مشروعاتك الخيالية ... المشروعات (تضحك) اللي حتفضل زي سناء وزي الكتابة وزي حياتك كلها ... حلم كبير!

حنفي: يا هناء الواقع لازم يتبني على حلم ... من غير حلم ما نقدرشي نغير الواقع!

هناء: ومن غير واقع حتفضل أحلامنا أوهام زي طواحين الهوا اللي حاربها دون كيشوت ... افتكر معاي ... انت لَّما كنت بتحلم بالمصنع كان فيه خوص في البلد ... كان فيه بنات مش لاقيين شغل ... كان ممكن البنت تاخد قرش وقرشين ... كان فيه كلور!

حنفي: كل حاجة موجودة.

هناء: طبعًا ... بس لا بالكميات المناسبة ولا بالتكاليف اللي نقدر عليها ... الحلم كان أصله واقع اتحول إلى ذكرى، إلى ماضي جميل، والماضي مش ممكن يعمل مستقبل.

حنفي: أنا مش ممكن أتخلى عن ...

هناء: طبعًا ... لأن ده قانون شط البحيرة.

حنفي: أنا أبعد ما أكون عن البحيرة ... وبعدين ما تنسيش انتي دلوقت واقفة جنبي ... بحبك وبتحبيني!

هناء: مرة واحدة كدة؟!

حنفي: هناء، حبيبتي، قصدك إيه؟

هناء: الحب شيء رائع بس ممكن يا ترى ينزل علينا م السما كده زي المن والسلوى؟!

حنفي (منفعلًا)**:** أنا حاسس بيه ... بيهزني هز من جوَّه.

هناء: اللي هزتك هي نغمة الصدق.

حنفي: لا.

هناء: إنت لسه قايل كده دلوقت!

حنفي: لكن أنا بحبك، أنا حاسس انك عارفاني أكتر ما اعرف نفسي، انك عشتي معاي طول العمر.

هناء (تضحك)**:** مش كله يعني!

حنفي: أنا حاسس انك طالعة من جواي، عايشة جواي، مفاجأتك لي كانت أكبر مني!

هناء: عشان لخبطت لك نظريتك؟

حنفي: بالعكس ... نظرية البحيرة صح مية في المية ... وبعدين انتي ما قلتيش أي حاجة أنا ما اعرفهاش!

هناء (فجأةً)**:** ممكن أكون خيال يا حنفي؟

حنفي: أفندم؟

هناء: ممكن أكون شخصية انت ألِّفتها؟

حنفي (يضحك)**:** لا لا لأ ... كله إلا دي ... (يقترب منها) دانتي حقيقة ... واقع ... لحم ودم ... وحاجة إكسرا كمان!

(يحاول الإمساك بها وتراوغه وتفلت منه ... ويزداد حماسة وهو يردِّد.)

واقع ممتاز، حقيقة من لحم ودم!

هناء (في دلال)**:** حنفي ... وبعدين؟!

حنفي: هناء ... أرجوكي!

هناء: ابعد عني.

حنفي: عايز أقول لك حاجة.

هناء: حاجة إيه؟!

حنفي: كلمة في ودنك.

هناء: دمك تقيل.

حنفي: مش ممكن تفلتي مني!

(يدق الباب بعنف فيتسمر في مكانه.)

مين ده؟

هناء: حيكون مين؟ فوزي طبعًا ... افتح له!

(تجري إلى غرفة النوم ... تخرج.)

حنفي: لحظة واحدة!

(يفتح الباب ... يدخل فوزي.)

أهلًا يا فوزي ... اتفضل ... أهلًا أهلًا ... جيت في وقتك ... أما عندي حتة مفاجأة لك!

(فوزي لا يرد، فقط يسير مندهشًا.)

اتفضل ... تعالى ... تتصور اني رجعت أحب تاني زي المراهقين! واحدة قريبتي من بعيد ... بتقول انها أختي في الرضاعة ... بتهزر طبعًا ... أما حتة بنت ياد ... استنى لحظة وانت تشوفها. (مناديًا) هناء ... هناء ... (إلى فوزي) حاجة ما حصلتش، جمال ومال وجرأة وذكاء ... (مناديًا) ... هناء ... هناء، تعالي ما تكسفيش ... دا فوزي صاحبي ... (إلى فوزي) اقعد يا فوزي ... اتفضل ... حتلاحظ إن فيه كباية شاي زيادة عليها أحمر شفايف (يضحك) كبايتها!

فوزي (لا يرى شيئًا)**:** فين؟

حنفي: أهيه قدامك ... (ينظر بعينَيه بحثًا، لا يرى شيئًا) لازم غسلتها، لازم (يتردد) راحت فين؟ (مناديًا) هناء ... هناء!

فوزي: انت شارب حاجة ع الصبح؟

حنفي: شارب إيه؟ دلوقت حتشوف.

(يهرع إلى غرفة النوم يفتحها وينظر داخلها في قلق.)

هناء ... هناء! انتي رحتي فين؟ الله! هناء ... هناء!

فوزي (متصفِّحًا الأوراق على المنضدة)**:** هي هناء دي مش بطلة القصة بتاعتك؟

حنفي (مذعورًا): قصة إيه يا أخي ... هناء دي حبيبتي ... هناء، هناء، مش ممكن تكون خرجت، دي كانت لسه معاي دلوقت!

فوزي: خرجت منين؟

حنفي: ما اعرفش!

فوزي: ودخلت ازاي؟

حنفي: ما اعرفش!

فوزي: انت رجعت للتأليف تاني؟!

حنفي (منهارًا): تأليف إيه يا أخي؟ (في صوتٍ باكٍ) والله العظيم كات هنا دلوقت! بقى لي ساعة باتكلم معاها!

فوزي: مفهوم ... مفهوم!

حنفي: مفهوم إيه انت كمان، انت فاكرني مجنون؟!

فوزي: أبدًا، بس يلَّا وحياتك عشان نخلص الحلقة ... البطل بتاعنا كان عنده إيمان كامل بِحُرية الرجل وإصرار على عدم السماح للمرأة بتدمير حياته وإلقائه على شط بحيرة اليأس.

حنفي (في انهيار تام): ولذلك قرَّر ألا يرتبط بامرأة ما طول عمره؛ إذ إن المرأة هي التي تستطيع وحدها أن تبعده عن شط بحيرة اليأس، وأن تضعه في قارب الأمل.

فوزي: إزاي بس؟! دا عكس الـ...

حنفي: وفضَّل أن يحيا بعيدًا عن الحياة ... قانعًا بما يصوِّره له خياله من لحظات النعيم ... لحظات يتصور فيها أنه وجد ضالة عمره وهو (فجأةً) فوزي.

فوزي: أفندم!

حنفي: انت فاكر نفسك أديب؟

فوزي: وبعدين بقى؟

حنفي: انت كاتب غلبان وكحيان في المدرسة.

فوزي: أنا زعلتك في حاجة؟

حنفي: أبدًا ... بس حبيت أقول لك ... لازم نواجه الحقيقة بقى ولو مرة واحدة.

فوزي: وحضرتك؟!

حنفي: أنا؟ آه ... أنا لا أديب ولا لي في العملية دي خالص، من إمتى كنت كاتب؟ من إمتى احترفت الأدب؟

فوزي: يعني مش حنكمل الحلقة؟
حنفي: لأ ... إزاي ... يلَّا بينا، وإن ما كناش حنكتب ... حنعمل ايه؟
فوزي: «لحظات يتصوَّر فيها أنه وجد ضالة عمره» ... كنت بتقول ...
حنفي (صارخًا)**:** ومع ذلك ... هناء كانت هنا دلوقت!
بلحمها ودمها!

(ستار سريع.)

الصديقتان

المنظر: صالون فاخر في منزل حديث، بعض الأجهزة الموسيقية واللوحات التي تدل على الذوق الرفيع. في المنتصف كرسي ضخم وثير، إلى اليمين باب الشقة. في الخلف شرفة تطل على النيل. إلى اليسار باب يؤدي إلى ردهة واسعة تظهر من خلالها أبواب الغرف الأخرى.
الزمن: الحاضر.
الشخصيات:

هدى: في الأربعين.

سوزي: نفس العمر.

عندما ترتفع الستار تكون سوزي نائمة في المقعد الوثير في منتصف الغرفة، وعلى وجهها منديل حريري. تبدو كمَن استغرق حقًّا في الأحلام، ثم فجأةً يدق جرس المنبه على المنضدة المجاورة فترفع المنديل، وتفرك عينَيها وتوقف الجرس. تتمطَّى. تنظر في المنبه ثانيًا وتفغر فمها دهشةً. تعدِّل من هندامها وشَعرها. تُخرج مرآة صغيرة من حقيبة يدها وتصلح من زينتها. ثم تتجول في الغرفة، تعدل بعض الأشياء وهي تتطلَّع إلى الساعة من لحظة إلى أخرى. تُخرج ورقة من درج في المنضدة وتتأملها وتفكر. يدق جرس الشقة.

(يرن جرس الشقة.)

سوزي: اتفضل! ادخل ... الباب مفتوح!

(يرن الجرس ثانيًا.)

اتفضل! اتفضلي!

(يُفتح الباب بهدوء وتدخل هدى، لحظات توتُّر كأنما تدرس كلٌّ واحدةٍ منهما صاحبتها لترى حقيقة ما بها.)

حضرتك؟

هدى: هدى موسى ... الدكتورة هدى موسى.

سوزي (في تردُّد): حضرتك اللي (تشير إلى الورقة).

هدى: أيوه يا سوزي ... أنا اللي بعت الكارت.

سوزي (في حيرة شديدة): أنا تصورت ... إنه ...

هدى: عارفة عارفة! ما تآخذنيش ... أصلي اتغيرت كتير خالص ... يمكن حضرتك نسيتيني زي ما نسيتي ناس كتير ... لكن أنا ما نسيتش وعمري ما حانسى.

سوزي: حضرتك كنتي معاي في المدرسة؟

هدى: بلاش حضرتي وحضرتك أرجوكي، أنا عارفة إني باكلم نجمة السينما والمسرح الشهيرة سوزي حافظ ... لكن احنا زمايل وحبايب من أيام ما كانت توحيدة بسطويسي!

سوزي (تضحك): البسطويس! بالألف واللام!

هدى: لحاد سنة رابعة!

سوزي (تعود للحيرة): بس انا موش فاكرة ... قصدي ...

هدى: أَفكِّر حضرتك ... وع العموم سواء افتكرتي أو ما افتكرتيش دا مش مهم، لأن الموضوع اللي انا جاية عشانه موش عايز ذكريات طويلة ... هي حاجة واحدة بس ... وباختصار أنا جاية استأذنك قبل ما أحرمك من أعز حاجة في حياتك!

سوزي (تتذكر بصعوبة): انتي كنتي في قسم النقد؟ (صائحة فجأة) هدى! هدى! ما كانش اسمك هدى! (في سعادة حقيقية) كان اسمك هادئة! ولَّا هادية؟ (تضحك في فرح طاغٍ) وكنتي هادية وهادئة كمان! مش معقول ... مش معقول! إزيك يا هدى! يا بنت الإيه! إزاي خسيتي بالشكل ده! واحلويتي! وصغرتي ... صغرتي خالص! عملتي عملية؟ احكي لي ... تعالي يا هدى تعالي ... اديني حضن وألف بوسة ... معقولة دي؟! طب والله ما عرفتك خالص ... يا خرابي يا اخواتي!

(تنهض إليها وتحضنها بلهفة وشوق حقيقي وتجرها من ذراعها إلى مقدمة المسرح وتهمس لها.)

انتي لازم تحكيلي على كل حاجة ... لازم أحجزك هنا لحد ما اطلَّع منك كل أسرارك ... كل مغامراتك ... وشقاوتك ... يا هادية ... يا مَيَّة من تحت تبن!

هدى (في سعادة ولكن بلهجة جادة): أنا يا سوزي وفرت نفسي للحب الحقيقي ... أنا ... ما خبيش عليكي موش قادرة اصدق إنك افتكرتيني صحيح ... كنت واثقة انك نسيتيني ... وموش بس نسيتيني.

سوزي: تعالي هنا يا خلبوصة تعالي ... إيه حكاية الدكتورة هدى دي؟ خدتي دكتوراه صحيح؟ في النقد برضه؟

هدى: حاحكيلك كل حاجة في وقتها ... بس اسمحي لي الأول أقول لك أنا ايه اللي جابني النهارده ... إيه اللي عايزة أستأذنك فيه.

سوزي: ودي عايزة أسباب؟! جيتي وخلاص ... قولي اني وحشتك ... آه يا عفريتة ... كام سنة؟ خمستاشر؟ ستاشر؟

هدى: أنا جاية عشان أستأذنك في أجمل حاجة في حياتك ... أحرمك من أعز شيء تمتلكيه.

سوزي: كده كده! أؤمري!

هدى: أنا عايزة جوزك.

سوزي: عايزة إيه؟

هدى: عايزة جوزك ... الراجل اللي انتي خطفتيه من بين إيدينا كلنا ... من بين إيديا أنا بالذات ... بعد ما عشنا أجمل قصة حب في الوجود!

(صمت متوتر، تتبادل المرأتان نظرات عدم فهم، وتحاول سوزي أن تركِّز بصرها عليها بينما تتحاشى هدى التركيز على وجه سوزي.)

أنا كان ممكن أتصل بيه من برَّه برَّه ... كان ممكن أتصل بيه في الشغل مثلًا ... أو في النادي ... كان ممكن آخده ونهرب ... لكن ضميري ما سمحليش ... انتي صاحبتي على أي حال والصداقة لها أحكام.

(صمت.)

أرجوكي يا سوزي ما تزعليش مني ... حاولي تفهميني ... أنا صحيح باعتبر إن ده حقي ... أملي ... حياتي ... الهدف اللي كافحت علشانه عشرين سنة ... لكن ... بجد ...

لازم اتأكد انك راضية ومقتنعة بموقفي كل الاقتناع ... وبصراحة إذا ما قدرتش أقنعك ... يبقى مش حاخده!

سوزي (تصفق بيديها): عزت! عزت!

هدى: أرجوكي!

سوزي (تنادي): عزت! عزت!

هدى: أرجوكي اسمعيني.

سوزي (في حماس أكبر): عزت! عزت!

هدى: أرجوكي ... المسألة مش هزار! (صارخةً) أنا باواجه أصعب موقف في حياتي ... الموقف اللي انتظرته عشرين سنة!

(يدخل خادم عجوز.)

سوزي: انت رحت فين يا عزت؟ هات لي مَيَّة آخُد بيها الدوا وشوف الدكتورة تشرب إيه.

(صمت.)

هدى: مِرْسِي!

سوزي: اعمل لنا شاي ... بسرعة ... هات المَيَّة الأول ... فاهم؟!

(يخرج.)

هدى: يا سوزي يا حبيبتي أنا موش عايزاكي تفهميني غلط ... أنا صحيح في وضع يسمح لي بالانتقام ... لكن تأكدي إنه ما فيش في قلبي أي حقد أو كراهية، أي واحدة في مكاني كان ممكن تكون دوافعها ... زي ما بنقول ... سوداء! انتقام وانتصار زائف حقير ... لكن لا، مش أنا، أنا ما فيش في قلبي إلا الحب ... والحب الأبيض الطاهر النقي البريء ... نفس العاطفة اللي حركتني ورسمت لي طريقي وانا في المعهد ... خليني أحدِّد لك بالضبط أنا شاعرة بإيه.

إبراهيم كان بالنسبة لي حلم ... شاب وسيم وذكي ومتدفق ... أفكاره لا تنتهي ... وكلامه تيار لا يتوقف من الصور والتأملات ... حبيته زي ما حبوه البنات ... عشت معاه بالنهار في المعهد وبالليل (في لهجة منشد الأشعار) زي ما بيقول الشاعر ... كنت بعيش

مع صورته ... مع قلبه الكبير ... حياتي كانت ابراهيم ... روحي كانت معاه ... وحتفضل معاه!

(صمت.)

وهو ده الحب يا سوزي اللي خلاني أحاول أوصل له، بأي الطرق ... كنت عارفة انه موش ممكن يحبني أياميها.

سوزي: اشمعنى؟!

هدى: كنت تافهة وفقيرة.

سوزي: ودا يمنع؟

هدى: ما كنتش جديرة بيه.

سوزي: دلوقت خدتي الدكتوراه وبقيتي عروسة لُقطة؟!

هدى: أرجوكي ما تزعليش مني ... أنا موش جاية أتحدى، أنا جاية بحق الصداقة.

سوزي: بس انتي ضامنة انه حيسيبني ويجري وراكي على طول؟ قصدي أول ما يشوفك حيطُب ساكت؟!

هدى: بالعكس يا سوزي ... المسألة لها جذور طويلة ... وجذورها من أيام المعهد ... كل واحد فينا أياميها كان بيحاول يعمل حاجة من نفسه، من ذاته ... حاجة ينور بيها الطريق للناس.

سوزي (ساخرة)**:** شمعة تحترق؟

هدى: بالضبط ... ودا اللي حسيته تمام ... في يوم موش ممكن أنساه ... إبراهيم كان بيحرق ذاته عشان حاجة أكبر من التمثيل والكتابة ... أكبر م السيناريو والنقد والهيصة دي كلها ... عشان الإنسان ... الإنسان الغامض الغريب ... اللغز ... فتحت له قلبي ... استجاب!

سوزي: على طول طبعًا!

هدى: قصدك إيه؟

سوزي: يعني ... كويس انه استجاب!

هدى: إبراهيم انجذب ليَّ ... حَس بإني مُخلصة ... وعايشة بالأمل والإصرار ... والصراحة ... وكل اللي بيخلي الإنسان إنسان.

سوزي: واعترف لك؟

هدى: أبدًا.

سوزي: يا خسارة!

هدى: ما كانش فيه داعي، عينينا كانت بتتكلم ... قلوبنا كانت بتدق ... لما كنت أشوفه داخل المعهد شايل كتاب ألارداييس نيكول ... ومَسحة حزن على جبينه ... ولَّا وهو خارج م المحاضرة ... لسه فاتح القلم والكشكول زي ما يكون بَلَع المعلومات بَلْع ... قلبي كان بيتحول لحتة من شمس الصبح ... ساعات ما كانش بيبص لي خالص ... لكن كنت عارفة.

(يدخل عزت بصينية عليها ماء وشاي وحبوب.)

سوزي (صارخة)**:** هي دي الحبوب برضه؟ أنا عايزة الحبوب الزرقا ... فاهم؟ يلَّا جيبها بسرعة ... اتفضل ... (إلى هدى) الشاي يا هدى يا حبيبتي ... اتفضلي اشربيه سخن يروق دمك ... اتفضلي!

(تجرعان الشاي.)

هدى (صمت، ثم تهب فجأة)**:** وبعدين فجأة ... وبدون سابق إنذار ... خطفتيه منِّي ... مديتي إيدك ... وبكل ثقة وجرأة ... اتجوزتيه، كان صعب حد ينافسك ... موش ممكن ... مين يقدر ينافس نجمة الإغراء؟ بطلة أنجح روايات المسرح والسينما ... والقاسم المشترك لكل مسلسلات التليفزيون؟

(في انهيار) وبصراحة ... فاتت عليَّ أيام فقدت فيها الأمل ... تصورت ان المعركة انتهت من قبل حتى ما تبدأ ... تصورت إن القضية خسرانة، وانه فعلًا ما فيش أمل ... لحد ما يوم رجعتوا فيه من لندن بعد مونتاج أول فيلم تعمليه بالألوان ... فاكرة؟

(سوزي تحتسي الشاي ولا ترد.)

هدى (في رنة فرح طاغٍ)**:** وصلني جواب منه ... اعترف لي فيه بكل حاجة ... كشف لي الحقيقة ... خلاني أفتح عيني وأشوف الدنيا من جديد ... عطاني أمل ... لسه فاكراه ... كلمة كلمة وحرف حرف ... عشرين سنة يا هدى ولسه حروفه بتنور قدام عنيكي ... (تحاكي صوت رجل) لم يكُن ما بيننا حلمًا ... لم يكن ما عرفناه وَهْمًا ... بل الحقيقة نفسها ... (تعود لصوتها الطبيعي) الحقيقة يا سوزي ... ومن يوميها عشت على الأمل

ده ... كنت ساعات بارُد على جواباته ... وساعات ما ارُدش ... عرفت انه غلط ... مسكين ... يوم ما تجوزك ... مسكين ... زيه زي أي راجل تاني يواجه جمالك الصارخ ... جمالك الطاغي الظالم.

(تدور في حيرة على المسرح.)

عطفت عليه ... أشفقت عليه ... وحبيته أكتر!

سوزي (تصيح فجأةً)**:** عزت ... عزت! انت رحت فين؟ كنت واقف بتتصنت؟

(يدخل عزت بالدواء.)

خلصتي الشاي؟! شيل الصينية يلَّا! واسمع موش عايزاك تقف ورا الباب تاني ... فاهم؟ خد ... (تعطيه ورقة مالية) اوصَل للأجزاخانة جيب لي علبة جديدة ... نفس الدوا ... مع السلامة.

(يخرج.)

هدى: أنا متأسفة اني أزعجتك ... أنا عارفة إن عندك روماتيزم.

سوزي: نقرس يا هدى ... نقرس!

هدى: كان مكتوب روماتيزم ... ومكتوب ان الدكتور هارسون وصف لك رمل اسكندرية تلات أشهر.

سوزي (تضحك)**:** صحيح! أما انتي عليكي ذاكرة!

هدى (تُقدِّم إليها دوسيهًا)**:** أبدًا ... ولا ذاكرة ولا حاجة ... كل حاجة هنا.

سوزي: كل حاجة يعني إيه؟

هدى: كل أخبارك ... كل تفاصيل حياتك ... من يوم ماتجوزتوا ... كل حاجة بتتنشر عنك حطيتها في دوسيه مخصوص ... حتى وانا في فرنسا.

سوزي: انتي رحتي فرنسا شخصيًّا؟!

هدى (تضحك)**:** شخصيًّا ... قعدت سنين وسنين ... مصر بالنسبة لي بقت يوم الرجوع ... يوم ما اخلَّص الدكتوراه وارجع لكم ... لابراهيم ... ولسوزي! سبت شغل بيجيب دهب عشان اليوم ده!

سوزي: ولسه راجعة لازم!

هدى: يوم السبت اللي فات ... سألت عليكي في الشركة عطوني عنوانك ما رضيتش أجيب سيرة ابراهيم طبعًا ... حيقولوا إيه! كان لازم أشوفك انتي ... كان لازم أمد لك إيد صداقتنا القديمة وافتح لك قلبي.

سوزي: لكن ... ما تآخذنيش في دا السؤال!

هدى (تضحك): حلوة دي!

سوزي: قصدي يعني: ما تجوزتيش طول المدة دي ولا مرة؟

هدى: يعني إيه ولا مرة؟

سوزي: يعني! ما تجوزتيش خالص؟

هدى (غاضبة): عايزاني أخون حبي لابراهيم ... عايزاني أخون الأمل!

سوزي (تضحك): لا لا العفو! تخوني الأمل! تخوني الأمل ازاي؟! لازم الأمل هو اللي يخونك!

هدى: قصدك إيه؟

سوزي: ولا حاجة ... هو بس ابراهيم بيبعتلك جوابات م الزرقا المكتوبة عالماكنة؟

هدى: وفيها إيه؟ كل الناس بتكتب جوابات ع الماكنة!

سوزي: طبعًا ... أنا بس كنت عايزة اعرف إن كان ساعات بيغير طبعه ويكتب بخط إيده.

هدى: في الأول ... استني ... معاي الدُّوسيه.

سوزي: ما فيش داعي للدُّوسيه ... أنا حاقولك كان بيقولك إيه.

هدى: قصدك إيه بالكلام ده؟

سوزي: ولا حاجة يا هدى ... تعالي جنبي هنا ... تعالي!

هدى: موش فاهمة قصدك إيه بالغمز واللمز ده؟!

سوزي: ولا غمز ولا لمز يا حبيبتي ... أنا حاقولك كل حاجة بصراحة ... ما عادش في العمر بقى ... موش حانعيش قد اللي عشناه ... تعالي بس جنبي وأنا احكيلك ... (يبدو على وجهها الألم) النقرس لعنة من لعنات ربنا.

هدى: انتي موش خدتي الدوا؟

سوزي: ما بقاش ينفع فيه دوا ولا هوا ... خلاص!

هدى: أجيب لك بطانية ولَّا حاجة؟

سوزي: لا معلهش ... اسمعيني بس ... أنا على قد إعجابي بإخلاصك وحماسك ... على قد ما أنا عايزة أسعدك وماخليش مشوارك يطلع على فاشوش ... حاسة إني لازم أقولك الحقيقة إذا كانت أعصابك تستحمل! (تقدِّم إليها حَبَّة) تاخدي حَبة من دول؟

هدى: مِرْسِي! (مضطربة) حقيقة إيه؟

سوزي: إحنا من يوم ما اتجوزنا يا هدى ... (تضحك ثم تنفعل، يتحول الضحك إلى نشيج) حتى في يوم جوازنا ... الله يسامحك يا ابراهيم في يوم جوازنا نفسه ... (تهدِّئ من روعها) طول عمره ... ربنا يغفر لنا جميعًا ... وهو غاوي يبعت جوابات!

هدى: جوابات ... غرامية؟

سوزي: من كله يا هدهد! حاقول ايه واعيد إيه؟ المأساة هي إني حبيته ... سايرته ... طاوعته ... غفرت له ... شجعته!

ما كانش ممكن يقدر يعيش من غير جوابات ... من غير معجبات ... من غير ما يحوط نفسه بهالة كبيرة م العظمة والبهرجة ... ساحر نساء وفاتن نساء ومحطِّم قلوب العذارى! كنت باشتغل بالساعات في الاستوديو ... ساعات كنت باقضي الليل كله تحت الأنوار وفي الحَر والعَرَق ... مُخرِج بيسرخ ومُصوِّر بيبعبع ... وأرجع ألاقيه محوط نفسه بعشرات المعجبات ... في الأول — ما انكرش — كنت بازعل وباتخانق ... وبعدين أنا عارفة انها غلطتي ... بدأت أفوِّت وأقول معلهش ... الراجل فنان وعايز يشوف صورته بتكبر وتملا الدنيا من حواليه ... دي كانت النهاية!

(صمت.)

هدى: وبعدين؟!

سوزي: ما فيش ... يا حبيبتي يا هدى ... خلاص.

هدى: خلاص إيه يا سوزي؟! حصل إيه؟

سوزي: موش عارفة اقول لك إيه تاني.

هدى (ثائرة): تقول لي حصل إيه. كل حاجة!

(تتحول فجأةً إلى لين واستغراق في الحلم) من بعد ما اعترف لي بحبه! من بعد ما بَعَت لي أشهر جواب في التاريخ ... (تُخرج خطابًا من حقيبة يدها) ده حاجة تانية يا سوزي لإني في يوم ما استلمته بقيت حاجة تانية ... يا سوزي موش كل الجوابات ... ولا كل الكلمات! اتفضلي (تقدِّم إليها الخطاب. لا تُبدي سوزي أيَّ اهتمام، فيقع على الأرض وتُعيده إلى حقيبة يدها).

سوزي: خليهولك ما دام حيحفظلك الذكريات ... ما دام حيخليكي تعيشي في الوهم.

هدى: حُبنا ما كنش وَهْم!

سوزي (تستأنف القصة بلهجة جدٍّ موضوعية)**:** بعد ما رجعنا من لندن كان قدامي اختيار صعب ... اختيار مستحيل! يا إما حياتي العملية والمجد اللي طول عمري باحلم بيه ... يا إما حبي وهنائي العائلي ... ولو كان ده هو الاختيار بس — على صعوبته — كان هان! لكن اكتشفت انه ما كانش ممكن أركِّز على طريق واتخلَّى عن الطريق التاني ... الاتنين كانوا بيتقاطعوا في كل لحظة ... (تزفر في رضًا) الحمد لله ... الكابوس انتهى ... كانت أيام رهيبة!

(فجأةً في حماس وألم) كل لحظة كانت بتمثل عبء تقيل على نفسي ... كل يوم كنت باشوف ابراهيم اللي عطيته قلبي وحياتي ... بيخوني مع واحدة تانية!

هدى: مستحيل! أنا واثقة إن ده مستحيل!

سوزي: كانت خيانة من نوع خاص بيه هو ... خيانة واحد شايف إن كيانه بيصغر كل كيان مراته ما كبر ... فاضطر يعوضه في مغامرات غرامية ... كان عايز يشوف صورته بتكبر وخلاص ... عايز التليفون يضرب والناس يسألوا عليه.

(صمت.)

هدى: ما كانوا بيسألوا عليه طبيعي ... مش كاتب سيناريو كبير؟! ابراهيم كان اسمه في كل مكان ... (تدق على الدُّوسيه) عندي جميع الإعلانات!

سوزي (تضحك)**:** المرحلة التانية! كان لازم أديله حاجة تعوضه عن النقص — أو الإحساس بالنقص — اللي كان بياكل فيه أكل!

خليته يشترك في كتابة السيناريو ... الأول مع ناس ... وبعدين بقيت أصر إن اسمه يطلع لوحده ... (ضاحكة) طبعًا من غير ما يكون حط قلم على ورقة ... كان بيقعد يحكي الحدوتة اللي المنتج فكَّر فيها لكاتب الحوار ... ويقول له يلَّا ... اتفضل ... آدي السيناريو!

هدى: انتي بتزيفي التاريخ ... أنا عندي ريفيوهات عن تطوره السينمائي وتربُّعه على عرش الكتابة!

سوزي: المرحلة التالتة! والنهائية ... كل خطوة خطيتها كبَّرته وزيفته ... وبعدته عني ... وعننا كلنا ... كان بدأ يعيش في عالم وهمي م المجد يسهر ويشرب ويتكلم

ويصرخ ... ويعد الجوابات الغرامية اللي بتوصله ... ويحكي في كل جواب حكاية ... وانا قلبي يتقطع حتت ... (في ألم حقيقي) لو ما كنتش ربطت قلبي وحياتي بيه ... ما كنتش اتعذبت العذاب ده كله ... المرحلة التالتة كانت أصعب المراحل ... إبراهيم ما كانش بيفوق أبدًا من أحلامه ... وكنت بكل إخلاص أكتب الجوابات الغرامية وامضيها بنفس الطريقة وابعتها في مواعيدها ... واتِّفق مع كتَّاب السيناريو والحوار عشان يحضَّروا المادة في ميعادها ... وارتِّب المواعيد مع الصحفيين عشان ياخدوا ردوده على أسئلتهم واجمع لهم صور قديمة له ... وادفع ... ياما دفعت عشان أحافظ على صورته اللي كبرتها لحد ما كبرت عليَّ أكثر م اللازم (في انهيار) لازم أعترف انِّي كنت سبب انهياره ... في مأساته ... في النهاية المؤلمة اللي انتهى إليها.

هدى (في تردُّد ورعب): مأساة إيه؟ قصدك ... إيه؟

سوزي: هو ده السر اللي نجحت في المحافظة عليه سنين وسنين! عارفة؟ (ألم شديد) كانت أنانية منِّي ... أنانية ودناءة كمان ... لكن ... ما كانش قدامي غير الطريق ده ... كان لازم أحافظ على سمعتي ... على إسمي كممثلة بتحاول تبقى درجة أولى ... (حماس وألم) لكن ... ربنا وحده يعلم اني كنت بحبه ... لآخِر يوم معاي ... لآخِر يوم قضاه في مصر!

هدى (في شبه انهيار): آخِر ... يوم ... ازاي؟ انتي بتقولي إيه؟ (باكية) هو راح فين؟

سوزي: من كام سنة ... لازم كنتي في الخارج انتي ... ما اعرفش ... يوم ١٢ مايو ... كان يوم حَر بصورة غير طبيعية ... صبحت الصبح لقيت ورقة منه بيقول فيها انه ماشي ... جريت زي المجنونة ع الأود افتشها ... دورت في كل حتة ... اتصلت بكل اللي اعرفهم ... بكل اللي عارفين السر ... وأخيرًا عرفت انه سافر ... هاجر ... استقر الأول في استراليا ... وبعدين هونج كونج ... وبعدين كندا ... وبعدين أمريكا الجنوبية ... وبعدين انقطعت أخباره تمامًا عن الجميع.

هدى: دا مستحيل يا حبيبتي يا سوزي (تفتح الدُّوسيه) أنا عندي جوابات منه قريبة ... قصدي ... تاريخها قريب جدًّا ... ومبعوتة من مصر موش ممكن يكون دا كله كدب يا سوزي ... مستحيل!

سوزي (في ثقة): آخِر جواب بعتهولك ... قصدي أنا بعتهولك ... كان بتاريخ ١٧ / ٤ وكان على عنوان في مصر الجديدة.

هدى: على ماما.

سوزي: لو قريتيه كويس حتعرفي انه ما فيهوش أي حاجة جديدة لا عنه ولا عننا ... حتلاقيه رد متوضَّب بكل عناية على الجواب اللي انتي بعتيه تاريخ ٣ / ٤!

هدى: أنا ما خدتش بالي من ... (تتردد) لازم يكون معاي هنا ... لحظة واحدة!

سوزي: أقول لك بيقول ايه؟

هدى (صارخة): موش ممكن!

سوزي: الوهم كان لازم يستمر يا هدى يا حبيبتي ... كان لازم الناس يتصوروا انه لسه موجود ... لأن انا رفضت الاعتراف بالواقع ... رفضت التسليم بالحقيقة ... ورفضت اعترف بإنه هجرني ... بإنه تخلَّى عنِّي إلى الأبد! يمكن لو ما كنتش طاوعته كنت أنقذته من الهوة السحيقة اللي وقع فيها.

هدى (ما تزال غير مصدقة): والجوابات اللي قبل كده؟

موش ممكن ... أنا عندي كل ما يثبت إنه بيحبني ... وبيحبني أنا لوحدي ... سوزي ... مستحيل! أنا عشت السنين دي كلها أحلم باليوم ده.

سوزي: أنا عشت السنين دي كلها في كابوس ... مش في حلم!

هدى: انتي اللي خلقتي الكابوس لنفسك!

سوزي: ما انكرش إني اشتركت في تدميره.

هدى (صارخة): انتي قاتلة!

سوزي: يمكن!

هدى: انتي مجرمة! انتي دمرتي حياته زي ما دمرتي حياتي ... انتي تستاهلي الشنق ... أنا لازم اقتلك ... أخنقك بإيديا دُول.

(تهجم عليها في عنف فلا تجد أي مقاومة بل وتدع الدُّوسيه وكل ما فيه يقع على الأرض — بسمة هادئة — فتنهار على الكرسي باكيةً ... تلتقطه سوزي ولكن هدى تختطفه من يدها وتبدأ في تمزيقه.)

هدى: هي دي حياتي؟! (تمزق الخطابات والصور وكل شيء) هي دي السنين اللي عشتها أذاكر واكتب وابحث عشان أبقى جديرة بيه؟! ليه عملتي كده يا سوزي؟!

سوزي: أنا؟

هدى (تبكي): ليه دمرتي حياة إنسان جميل صافي نقي؟ ليه ليه ليه؟

سوزي: يا هدى يا حبيبتي ... أنا عملت كل اللي اقدر عليه ... القدَر يا هدى أكبر مننا إحنا الاتنين ... على الأقل انتي عندك وظيفتك ترجعي لها.

هدى: في مصر؟

سوزي: في مصر ولَّا فرنسا!

هدى: أنا كنت راجعة لحاجة واحدة يا سوزي ... واهي ضاعت.

سوزي: الإنسان لازم يستمر ... الحياة أحيانًا بتبقى عِبْء كبير ... لكن لازم نعيشها!

هدى: مستحيل ... أنا راجعة فرنسا تاني!

سوزي: بلاش عبط بقى ... ما انا عايشة أهُه!

هدى: مستحيل ... أنا لا يمكن أقعد دقيقة واحدة هنا بعد كده ... والحمد لله اني ما سبتش الشغل ... وعندي حاجة أعيش منها هناك.

سوزي: أرجوكي يا هدى ... اعقلي ... خليكي معاي ... أنا محتاجة لك.

هدى: لأ ... معلهش ... اعذريني ... (تقف وتحزم أمرها.)

أنا الى حدٍّ ما سعيدة اني عرفت الحقيقة!

أنا باقول «وداعًا» لحلم كبير ... لكن ... مين عارف؟ يمكن ألاقي إبراهيم في حتة تانية ... إن ما كانش في أوروبا يبقى في أي حتة تانية في أرض الله الواسعة ... باي باي يا سوزي!

سوزي: هدى حبيبتي ... أرجوكي اسمعيني ... بلاش جنان أمال.

هدى: خلاص يا سوزي ... أنا اتخذت قراري ... اللي حصل حصل، ولازم نواجهه ... متشكرة خالص!

(تُقبِّلها بشغف.)

سوزي (تبكي): هدى ... هدى ... خليكي معاي ... أرجوكي ... أنا محتاجة لك في وحدتي وعذابي.

هدى (باكيةً): ما قدرش يا سوزي.

ما قدرش يا حبيبتي ... أنا مسافرة الصبح ... بكرة بإذن الله الحجز بتاعي موجود وكل حاجة جاهزة!

سوزي (تحتضنها): بحق صداقتنا ... خليكي معاي!

هدى (تجري مسرعة): باي باي يا سوزي ... باي باي إلى الأبد!

(تخرج.)

سوزي (وحدها)**:** هدى! (تُجفِّف دموعها ثم تبتسم في رضًا، تجمع الأوراق من أرضية الغرفة وتضعها في سلة إلى جانب المنضدة وتصلح من هندامها ثم تدق الصنج وتنادي) عزت! عزت! (تتردد) ولَّا أقول ابراهيم أحسن؟

(يدخل الخادم العجوز.)

الدكتورة خرجت؟ (يومئ) كويس ... اسمع ... خلِّي ابراهيم بيه يتفضل ... (ضاحكة) قول له البر أمان (ضاحكة) بسرعة!

(عزت يزيل شاربه ويعتدل في قامته ويخلع العمامة من على رأسه ويفك الجلباب ويُلقيه جانبًا ليبدو شخصًا في حوالي الأربعين وسيمًا وجذابًا.)

(ترمقه) موش بطال! (تشاغله) معقول كده يا برهوم؟ ايه رأيك؟ اسمح لي أعترف لك إني مثلت أجمل أدوار حياتي ... وإيه ... إخراج وتمثيل ... السيناريو بتاعك نفع ... يا حبيبي ... (تحتضنه في شغف) لكن ... الله يجازيك ... سيناريو كان حيودیني في داهية ... في لحظة حسيت إنها كانت حتخنقني بجد ... دي مجنونة صحيح يا برهوم ... كانت حتخنقني بحق وحقيق وكنت حناديك يا ملك! (فجأة تهاجمه) انت ازاي ياد انت تحب واحدة بالشكل ده؟ ما تنكرشي ... جواباتك أهُم! (تضحك) قطعتها بإيدها! الحمد لله ... الكابوس انزاح ... دي كانت ممكن تعمل فضيحة بجلاجل! (تُقدِّم إليه السلة) اتفضل ... الدُّوسيه كله ... خلاص (في رقة) بس الشطارة بقى يا حلو ... ما نرجعش نلعب بديلنا تاني أبدًا ... فاهم يا ... يا ... عزت؟! (تضحك) وإلا والله ... والله ... أبعت لها!

(يتعانقان.)

(ستار.)

هنـــداوي